جـامـعــة الـشـهـيـد حـمة لـخضر – الـوادي–

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة الاسلامية

أثر الجوانب الكلامية في توجيه محذوف الاستعارة عند الإمام الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف(نماذج مختارة)

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شـهادة ليسانس

في العلوم الإسلامية، تخصص لغة ودراسات قرآنية.

إعداد الطلبة:

عبد العزيز هاشمي

عبد النور حلاسة

ابراهيم حنانه

اشراف:

د . ادريس ريمي

السنة الجامعية: 1439– 1440هـ / 2018 – 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى

والدينا الأعزاء

كل من علمنا حرفا

كل من شارك في انجاز هذا العمل

إلى أحبابنا في كل مكان

تشكرات

اللهم إنا نحمدك على ما علّمت من البيان

وألهمت من التّبيان، كما نحمدك

على ما أسبغت من العطاء

وأسبلت من الغطاء.

ونسعد باهداء عظيم الشكر والامتنان

في توضع وعرفان

إلى سماحة الدكتور ادريس ريمي

على عونه ونصحه وتوجيه

إلى أن تم انجاز هذا العمل

الذي هو ثمرة غرسه وتنقيحه

مقدمـــة

مقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن شرف العلم بشرف موضوعه، واشرف مجالات البحث هو القرآن الكريم وعلومه وعلى رأسها تفسير القرآن، وفيها ألفت الكثير من الكتب عبر التاريخ الإسلامي، ومن أشهرها كتاب الكشاف للإمام الزمخشري . رحمه الله . المسمى الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، وفيه علوم لغوية، وأدبية كثيرة، وفقه، وعقيدة معتزلية، والناظر في الكشاف يجد فيه لغة جزلة قوية، وأسلوب حوار جذاب، ناقش فيه صاحبه الكثير من المباحث النحوية والبلاغية تحت لواء العقيدة المعتزلية، وقد نالت الاستعارة حظها من البحث الدقيق والماناقشات الكلامية، ولا شك أن الاعتزال ألقى عليها ظلالا من سطوته على صاحب الكشاف.

إشكالية البحث

بعد أن نظرنا في تفسير الكشاف، ورأينا ما فيه من جواهر نحوية وبلاغية، كانت ثمرة تمكن صاحبه من زمام علوم اللغة، وشدنا موضوع البحث في الاستعارة، واثقلنا القيد الاعتزالي الذي كان حاضرا في كل شرح أو مناقشات، وفي تفسير كل آية لها وجه عقائدي، لذا آثرنا البحث في موضوع الاستعارة وانعكاس المذهب الاعتزالي على بحث الزمخشري لها، تحدونا الاشكالية التالية:

" **كيف برز اثر الجوانب الكلامية على توجيه محذوف الاستعارة عند الامام الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف؟.** "

التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بالجوانب الكلامية وكيف برزت في تفسير الكشاف؟.
- ما موقع الاستعارة وكيف بحثها الزمخشري في كتاب الكشاف ؟
- كيف أثر المذهب الاعتزالي على البحث البلاغي والنحوي في موضوع الاستعارة في تفسير الكشاف، وفي توجيه محذوفها؟.

منه فقد كان عنوان بحثنا : **أثر الجوانب الكلامية على توجيه محذوف الاستعارة عند الإمام الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف (نماذج مختارة).**

أهمية الموضوع :

- أهمية تفسير الكشاف في التعرف على صور الفهم الاعتزالي للقرآن الكريم.
- احتواء تفسير الكشاف على الكثير من البحث البلاغي المهم خاصة في موضوع الاستعارة.
- قوة الملكة اللغوية للإمام الزمخشري التي مكنته من أن يضمن تفسيره أصولا اعتزالية قد لا يتفطن لها إلا ذو بصيرة باللغة والعقيدة.

أهداف الموضوع:

- ابراز أثر المذهب الاعتزالي في التفسير عند الزمخشري.
- ابراز مساهمة الزمخشري في الدرس البلاغي خاصة في موضوع الاستعارة.
- ابراز قدرة الزمخشري اللغوية التي مكنته من تطويع القواعد اللغوية في موضوع الاستعارة لخدمة المذهب الاعتزالي.

الأسباب الذاتية لاختيار الموضوع:

- الرغبة في التعرف على منهج الزمخشري في التفسير وإضافاته في مجال البحث البلاغي.
- الرغبة في التعرف على مباينة الامام الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ لمعتقد أهل السنة والجماعة في التفسير.
- الرغبة في تنمية الملكة اللغوية الذاتية، بالبحث في كتب ائمة العلم الاوائل رحمهم الله.

الأسباب الموضوعية لاختيار الموضوع:

- اختتام المرحلة الدراسية الحالية بموضوع بحث ذي وزن واثر علمي مهم .

الدراسات السابقة:

من خلال المسح الذي قمنا به توصلنا إلى الكثير من الدراسات حول كتاب تفسير الكشاف للزمخشري، لذا ركزنا على الدراسات التي تناولت الجوانب الاعتزالية والبلاغية في الكتاب وجعلت لها الاهمية والافضلية على غيرها من المواضيع، ويمكن تقسيم تلك الدراسات السابقة إلى مصادر ومراجع ، فأما المصادر فمن أهمها:

- حاشية الشيخ محمد بن عليان المرزوقي على الكشاف، تعقب فيها اراء الزمخشري الاعتزالية وتفسير القرآن بمقتضاها، وقد افدنا منها في مقارنة آراء الزمخشري الاعتزالية لمذهب اهل السنة والجماعة.
- كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام القاضي أحمد بن محمد بن منصور بن المنير المالكي، حيث ناقش أقوال الزمخشري الاعتزالية، وقد أكثر من الانكار على المعتزلة والسخرية منهم، لحد وصفهم بالشرك الخفي، والتحذير من تفسير الكشاف وافدنا منه في مقارنة أقوال الزمخشري بمذهب أهل السنة والجماعة، وتصحيح معاني الاستعارات الواردة في النماذج المدروسة في بحثنا هذا.

وهذه الحاشية وهذا الكتاب طبعا على كتاب الكشاف بتحقيق مشترك بين الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، بدار صادر، بيروت، الطبعة الاولى، سنة 1418هـ . 1998م، وهي النسخة التي اعتمدناها في بحثنا هذا.

وأما الدراسات التي كانت مراجع فمن أهمها:

- كتاب الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري للأستاذ فاضل صالح السامرائي، أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه، وقد طبع الكتاب لأول مرة سنة 1389هـ . 1980م، يقع الكتاب في 420 صفحة، بمطبعة الارشاد في بغداد، والكتاب مقسم إلى تمهيد وستة ابواب وخاتمة، ففي التمهيد تناول الباحث ترجمة الزمخشري، وما تعلق بثقافته وعصره، أما الأبواب التي افدنا منها في بحثنا هذا فهي الباب الرابع وعنوانه أثر الاعتزال والعامل في دراساته، وقد أخذنا منه شيئا من دلائل أثر المذهب الاعتزالي على التفسير عند الزمخشري، والباب الخامس عنوانه السمات البارزة في دراساته، وفيه تفصيل لاعتناء الزمخشري بالمعنى كأصل للاعراب.
- أطروحة دكتوراه للأستاذ عبد الجليل مصطفاوي بعنوان صور البيان في تفسير الزمخشري قدمها الباحث لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، بقسم اللغة العربية وآدابها، بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، ونوقشت خلال الموسم الجامعي 2000 ـ 2001م، تقع الاطروحة في 375 صفحة، مقسمة إلى مدخل وخمسة فصول فالمدخل تناول فيه الباحث اثر المعتزلة في الدرس البلاغي، أما فصول الاطروحة فقد تناولت فنون البيان الترتيب التالي: الفصل الأول في التشبيه، الفصل الثاني في المجاز اللغوي بنوعيه الاستعارة والمجاز المرسل، وهذا الفصل افدنا منه كثيرا في شرح مراد الزمخشري في تفسير الاستعارات التي استشهدنابها، الفصل الثالث في المجاز العقلي الفصل الرابع في الكناية والتعريض والفصل الخامس في اضافات الزمخشري وجهوده في دراسة صور البيان.

المنهج المتبع:

اتبعنا في عرض ودراسة موضوع مذكرتنا هذه، مناهج عدة، كان المنهج الوصفي التحليلي أكثرها حضورا، فقد استخدمناه في وصف كتاب الكشاف والتعريف به ووصف بيئة صاحب الكتاب وعصره، وأيضا في شرح انواع الاستعارات والنماذج التي درسناها.

بالاضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي استخدمنا مناهج مساعدة منها، المنهج الاستقرائي في جمع و عد الاستعارات الواردة في كتاب الكشاف، المنهج التاريخي وذلك في التعرف على العصر الذي عاش فيه الامام الزمخشري، وفي دراسة تطور البحث البلاغي عند الفرق الكلامية قبل الزمخشري أما المنهج المقارن فقد خدمنا في التعرف على أوجه الاختلاف والتشابه بين البحث البلاغي للاستعارة عند الزمخشري وغيره من علماء البلاغة واضافاته في هذا المجال، وفي الاطلاع على

الفهم الاعتزالي لآيات القرآن الكريم ذات الصلة بالعقيدة ومقارنة ذلك الفهم بعقيدة أهل السنة والجماعة من خلال ردودهم على تفسير الزمخشري لتلك الآيات.

منهجية البحث

كانت طريقتنا في عرض ودراسة موضوع بحثنا حسب المحددات التالية:

- تقديم توطئة بين يدي كل فصل ومبحث، تكون تهيئة للقارئ للدخول في موضوع الفصل أو المبحث.
- تلخيص محتوى كل فصل في آخره.
- ترجمة الاعلام المذكورين في المتن باختصار في الهوامش، وذكر مصادر الترجمة.
- تعريف المصطلحات المذكورة في البحث وذلك في المتن، وذكر مصادر التعريف، ومقارنة تعاريف علماء البلاغة بتعريف الامام الزمخشري لتلك المصطلحات إن وجد له تعريف لها.
- عزو الايات القرآنية والشواهد الشعرية في الهامش.
- العناية بالدراسات السابقة المتخصصة والاكاديمية، وعلى راسها أطروحات الدكتوراه، مثل أطروحة الاستاذ فاضل صالح السمرائي بعنوان الدراسات النحوبة واللغوية عند الزمخشري وأطروحة الاستاذ عبد الجليل مصطفاوي بعنوان صور البيان في تفسير الزمخشري.
- العناية بالمنهج المقارن في مقارنة آراء الزمخشري في مجال البحث البلاغي بغيرها من اقوال علماء البلاغة خاصة السابقين له، كذلك المقارنات بين آراء الزمخشري في التفسير ذات الوجة الاعتزالية بغيرها من تفاسير علماء السنة والجماعة، وردور ابن المنيِّر في كتاب الانتصاف، والامام المرزوقي في حاشيته على الكشاف.
- الاكتفاء بذكر مؤلفات الزمخشري المطبوعة، وأمثلة عنها في كل باب من أبواب العلم، مع الاحالة إلى مواضع ذكر بقية المؤلفات التي بلغت 65 مؤلفا.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين يتقدمهما مبحث تمهيدي

عنوانه، الإطار المعرفي والمفاهيمي ويشمل النقاط التالية:

أولا: ترجمة الامام الزمخشري.

ثانيا: التعريف بكتاب تفسير الكشاف.

ثالثا: تعريف علم الكلام ونشأة الفرق الكلامية وتطورها.

ثم الفصل الأول: جهود المتكلمين وأثرها في البحث البياني

وتحته ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: جهود المتكلمين الاشاعرة وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول: القاضي الباقلاني

المطلب الثاني: عبد القاهر الجرجاني

المطلب الثالث: فخر الدين الرازي

المبحث الثاني: جهود المتكلمين المعتزلة وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول: النظام

المطلب الثاني: الجاحظ

المطلب الثالث: بشر بن المعتمر

المبحث الثالث: الاستعارة عند المتكلمين الاشاعرة والمعتزلة وتحته مطلبان

المطلب الأول: الاستعارة عند المتكلمين الاشاعرة

المطلب الثاني: الاستعارة عند المتكلمين المعتزلة

ثم الفصل الثاني: الجوانب الكلامية والاستعارة في كتاب الكشاف(دراسة تطبيقية) ومباحثه ثلاثة

المبحث الأول: الجوانب الكلامية في كتاب الكشاف وتحته مطلبان

المطلب الأول: الأصول الخمسة للمعتزلة وموقعها في الكشاف

المطلب الثاني: المسائل العقدية الفرعية في كتاب الكشاف

المبحث الثاني: منزلة الاستعارة بين الصور البيانية في كتاب الكشاف وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الاستعارة في تفسير الكشاف وبيان أركانها

المطلب الثاني: اركان الكلام التي ترد عليها الاستعارة

المطلب الثالث: انواع الاستعارات الواردة في كتاب الكشاف

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الجوانب الكلامية على توجيه محذوف الاستعارة في كتاب الكشاف وتحته مطلبان

المطلب الأول: في الاستعارة المكنية

المطلب الثاني: في الاستعارة التصريحية

ثم خاتمة تلخص النتائج المتوصل إليها.

وقبل البدء في مناقشة هذه المباحث، نرجو من الله القدير العون والسداد وتيسير ما هو صعب، فإنه تعالى يجعل الحزن إذا شاء سهلا، ونسأله جل في علاه العفو عن الزلل والمغفرة عن التقصير.

مدخل تمهيدي: الإطار المعرفي والمفاهيمي

أولا: ترجمة الإمام الزمخشري

ثانيا: التعريف بتفسير الكشاف

ثالثا: تعريف الفرق الكلامية ونشأتها وتطورها

مدخل تمهيدي: الإطار المعرفي والمفاهيمي

بداية نود أن نمهد لبحثنا بهذا المدخل المعرفي والمفاهيمي الذي نتناول فيه ترجمة الإمام الزمخشري والتعريف بكتاب الكشاف، وتعريف علم الكلام ونشأة الفرق الكلامية وتطورها.

أولا : ترجمة الامام الزمخشري

1ـ اسمه ولقبه:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الإمام الحنفي، المعتزلي لقب بالزمخشري لانه ولد بزمخشر،ولقب بجار الله لأنه سكن مكة المكرة زمنا طويلا، وجاور بيت الله الحرام.[1]

2ـ ولادته:

ولد الزمخشري في خوارزم[2] بإحدى قراها المسماة (زمخشر)[3] في السابع والعشرون من شهر رجب سنة سبعة وستين واربعمئة للهجرة[4]

3ـ نشأته وأسرته:

نشأ الزمخشري في أسرة لم يعرف من أخبارها الا القليل فقد حكى هو بنفسه حادثة وقعت له في صباه، فقد فامسك عصفورا وربطه بخيط في رجله فافلت من يده ودخل في خرق فسحبه فانقطعت رجله في الخيط فتألمت والدته، وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله، وتحقق قطع رجله بدعاء والدته عليه، وقد تركت هذه الحادثة أثرا كبيرا في حياته ورسخت قي نفسه الرأفة بالخلق جميعا فلم يتعرض لأحد بسوء أبدا.[5]

أما والده فقد مات في السجن بعيد شبابه، ويظهر أن أباه كان على خلق ودين وعلم كبير فقد حفظ الفرآن على يديه، ورثاه ببيتين من الشعر قال فيهما:

فقدته فاضلا فاضت مآثره العلم والادب المأثور والورع

صام النهار وقام الليل وهو شج من خشية الله كابي اللون ممتقع[6]

---

1 انظر ترجمته في: شذرات الذهب، 6/ 194. وفيات الاعيان 254/4، البداية والنهاية 230/12، معجم الادباء 147/3.

2 انظر معجم البلدان 395/2.

3 نفس المرجع 147/3.

4 وفيات الاعيان 173/5.

5 انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة، 268/3.

6 ديوان الزمخشري، شرح فاطمة يوسف الخيمي، ط1، 1429هـ/2008م، دار صادر بيروت، ص341.

4 ـ عصره الذي عاش فيه

نلقي لمحة وجيزة لعصر الزمخشري وتشتمل على الاحوال السياسية والاجتماعية والعلمية، حيث عاش الزمخشري في الثلث الاخير من القرن الخامس الهجري والثلث الاول القرن السادس الهجري وامتازت هذه الفترة بما يلي:

أ ـ الاحوال السياسية

كانت هذه الفترة فترة ضعف الدولة العباسية، وتسلط العجم على الخلافة، مع استقلال بعض الاقاليم الاسلامية، ولم يستقر أمر الخلافة على حال فقد تولى الخلافة العباسية في حياة الزمخشري خمسة خلفاء، وتسلط عليهم آل بويه، ثم السلاجقة، وفي خوارزم قامت الدولة الخوارزمية التي دامت زهاء 160 سنة من 470 إلى 628هـ، ودولة الفاطميين في مصر والشام التي دام حكمها من 297هـ إلى567هـ، ودولة المرابطين في المغرب والاندلس من سنة 448 إلى 541هـ، وسقطت القدس في ايدي النصارى عام 492هـ .

ب ـ الأحوال العلمية

عاصر الزمخشري الكثير من العلماء الافاضل في شتى أنواع العلوم، وبروز الزمخشري من بينهم يعد علامة على تميزه، وقد انتشرت المدارس في عهده وكثرت المكتبات، وتكفل الخلفاء والولاة بتشييدها ودعمها بالمال والحفاوة بعلمائها، وفي ما يلي نذكر بعض هؤلاء العلماء حسب مجالات اختصاصهم:

أ ـ في التفسير:

ـ عبد الحق بن غالب ابن عطية الاندلسي المتوفى سنة 542هـ.

ب ـ في القراءات وعلوم القرآن:

. أحمد بن محمد المعروف بابن العريف المتوفى سنة 536 هـ.

. القاسم فيره المعروف بالامام الشاطبي المتوفى سنة 590 هـ.

ج ـ في الحديث:

ـ يحي بن عبد الوهاب المعروف بابن منده، المتوفى سنة 511 هـ.

ـ أحمد بن محمد المعروف بالبغوي الفراء، المتوفى سنة 516 هـ.

د ـ في الفلسفة وأصول الفقه

ـ أبو حامد الغرالي محمد بن محمد المتوفى سنة 505هـ .

ـ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة 548هـ.

ـ محمد بن أحمد، المعروف بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة 595هـ.

ـ محمد بن أحمد، المعروف بشمس الامة السرخسي، المتوفى سنة 483هـ .

ـ أبو عبد الله محمد بن علي االمعروف بالدمغاني، المتوفى سنة 478هـ .

د ـ في الادب

ـ القاسم بن علي المعروف بالحريري، المتوفى سنة 516هـ .

ـ ابراهيم بن ابي الفتح، المعروف بابن خفاجة، المتوفى سنة 533هـ .

هـ ـ في الفقه: الكثير من الفقهاء في مختلف المذاهب الفقهية.

ج ـ الاحوال الاجتماعية والدينية

تنوعت اطياف المجتمع الاسلامي في ذلك العهد، وكثرت الملل والنحل والفرق، وظهرت بينها الكثير من الفتن، وكانت خزارزم بمنأى عنها[1].

5 ـ رحلاته العلمية وشيوخه:

كثرت رحلاته العلمية لذلك كثر شيوخه في مختلف العلوم، وفي مايلي نذكر ثلاثة منهم ممن أثروا فيه وكان لهم دور بارز في تكوين شخصيته وهم:

أ ـ ابن جرير الضبي الأصفهاني أبو مظر النحوي كان يلقب فريد العصر وكان إمام أهل خوارزم فقد ونشر فيها مذهب المعتزلة توفي أبن جرير سنة 507هـ .

ب ـ أبو عبد الله محمد بن علي الدمغاني الفقيه الحنفي وهو قاضي القضاة ببغداد وكان فقيها فاضلاً حنفي المذهب توفي ببغداد سنة 518هـ، أخذ منه الزمخشري الفقه الحنفي.

ج ـ أبو منصور نصر الحارثي أخذ الزمخشري منه الحديث كذلك أخذ الحديث من أبي سعيد الشقاني ومن أبي الخطاب بن أبي البطر.

6 ــ تلاميذه:

تلاميذه كثيرون، لأنه كان كثير الترحال، ولمجاورته مكة المكرمة، محج المسلمين قاطبة وكما ذكرنا له ثلاثة شيوخ أثروا في توجهه فقها وعقيدة ولغة، نذكر له ثلاثة تلاميذ مشهود لهم بالعلم والفضل، نقلوا علمه وبعضهم اعتنق مذهبه، وهم:

أ ـ في خوارزم، الموفق بن أحمد بن أبي سعيد المعروف بأخطب خوارزم، كان متمكنا من العربية غزير العلم فقيها أديبا شاعرا.[2]

ب ـ في خوارزم، أبو الحسن الاديب، الملقب بحجة الافاضل وفخر المشايخ، توفي سنة 566هـ أخذ عن الزمخشري الأدب وكان أوفر أصحابه حظا في الأخذ منه، كان معتزليا، صاحب فضل

1 معجم البلدان، 486/2.

2 انظر بغية الوعاة ص 401.

وصلاح، من مؤلفاته، كتاب المواضع والبلدان، كتاب تفسير القرآن، وكتاب اشتقاق الاسماء.[1]

ج ـ في مكة، علي بن عيسى بن حمزة بن وهَّاس، كان من شرفاء مكة المكرمة وعلمائها.[2]

7 ـ وفاته :

توفي الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ بجرجانية خوارزم سنة 538هـ.[3]

8 ـ مؤلفاته:

ترك الزمخشري تراثا لغويا وفقهيا وأدبيا كبيرا، فقد ألف في جميع هذه العلوم وأكثَر، وفي ما يلي نذكر بعضها منسوبا إلى طبعته حسب اطلاعنا[4]:

1 ـ في الادب:

ـ مقامات الزمخشري، وهو مطبوع بدار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة 1982م.

ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار وهو مطبوع بتحقيق عبد الأمير مهنا، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الأولى 1992م.

ـ المستقصى في أمثال العرب، وهو مطبوع بدار الكتب العلمية، بيروت، وقد اطلعنا على الطبعة الثانية لسنة 1987م.

2 ـ في علوم اللغة:

ـ أساس البلاغة، وهو مطبوع بتحقيق محمد باسل عيون السود، بدار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة 1998.

ـ المفصل في علم العربية (في النحو) وهو مطبوع بتحقيق: فخر صالح قدارة، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة: الأولى 2004.

ـ الأنموذج في النحو، وهو مطبوع بتحقيق وعلى نفقة سامي بن حمد المنصور، د ن، الطبعة: الأولى 1999.

ـ إعجاز سورة الكوثر، وهو مطبوع بتحقيق حامد الخفاف، الناشر: دار البلاغة، بيروت لبنان الطبعة: الأولى 1991.

ـ شرح الفصيح، وهو مطبوع بتحقيق: ابراهيم الغامدي، الناشر: منشورات جامعة أم القرى

---

1 معجم الادباء 61/15.

2 معجم الادباء 85/14.

3 وفيات الاعيان 173/5.

4 للمزيد حول مؤلفات الزمخشري، انظر رشيد عبد الرحمن العبيدي، الزمخشري وكتابه الفائق، منشورات المجمع العلمي ببغداد سنة 2001م أحصى من مؤلفات الزمخشري 65 مؤلفا معزوا إلى المصادر التي ذكر فيها، الصفحات 14 إلى 22.

السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ.

3 ـ في علم الحديث:

ـ الفائق في غريب الحديث، وهو مطبوع بتحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم الناشر: عيسى البابي الحلبي.

4 ـ في الوعظ والارشاد:

ـ أطواق الذهب في المواعظ والخطب، وهو مطبوع بتحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

5 ـ في علم العروض

ـ القسطاس في علم العروض، وهو مطبوع بتحقيق فخر الدين قباوة الناشر دار المعارف بيروت وقد اطلعنا على الطبعة الثانية لسنة 1989م.

6 ـ في البلدان:

ـ الجبال والأمكنة والمياه، وهو مطبوع بتحقيق: محمد أبو عامود، الناشر الجزيرة للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الاولى: 2007م.

7 ـ في التفسير:

كتاب الكشاف، وهو اعظم ما ألف الزمخشري في حياته العلمية، وهذا الكتاب سيكون موضوع بحثنا هذا، وسنفرد له صفحات لاحقة ـ إن شاء الله تعال ـ في ذكر عناصر التعريف به.

9 ـ مكانته العلمية:

ملازمة الزمخشري للكثير من الشيوخ في شتى المجالات العلمية، وتحصيله لأنواع العلوم اكسبته مكانة علمية رفيعة بين اقرانه في عصره، وامتد اثره في من جاء بعده، ففي كتاب الكشاف نجد اهتمامه بعلوم اللغة والبلاغة خاصة، فكل من جاء بعده – حتى من أهل السُّنَّة – استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا فى تفسيرهم ما ساقه الزمخشرى فى كشَّافه من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا ما نبَّه عليه الزمخشرى من نكات بلاغية، تكشف عما دَقَّ من براعة نظم القرآن وحسن أُسلوبه.[1]

أيضا يظهر عظم مكانة الزمخشري العلمية في ثناء العلماء عليه ـ من غير المعتزلة ـ وهذا بعض مما قالوه في شرف الزمخشري وعلمه.

ـ قال ابن خلكان ـ المتوفي سنة 681هـ ـ : « هو الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة

1 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، مكتبة وهبة القاهرة، ص 313.

وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع تُشدُّ إليه الرّحال في فنونه».[1]

ـ قال عنه السيوطي ـ المتوفي سنة 911هـ ـ : « علامة الأدب، نسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل وتحط بفنانه رحال الرجال وتحدى باسمه مطايا الآمال».[2]

ـ قال عنه ياقوت الحموي: « إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننا في علوم شتى، معتزلي المذهب مجاهرا بذلك».[3]

ثانيا: التعريف بكتاب الكشاف

قلنا آنفا أن تفسير الكشاف يعد أعظم كتاب ألفه الزمخشري في حياته العلمية كلها، وفي مايلي نقدم تعريفا بهذا الكتاب ضمن العناصر التالية:

عنوان الكتاب:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

نسبته إلى مؤلفه:

بإجماع الأمة فهذا الكتاب الفريد في بابه صحت نسبته إلى الإمام جار الله الزمخشري.

تاريخ تأليفه:

يذكر الزمخشري في مقدمة الكشاف، أنه بدأ تأليف سنة 526هـ وانتهى منه سنة 528هـ أي أنه مكث ثلاث سنوات ألف فيها الكشاف،.

سبب تأليفه:

ذكره في مقدمته، وهو أن جماعة من المعتزلة كانوا يرجعون إليه في تفسير بعض الآيات فيفسر لهم ذلك ويبين لهم حقائقها فيفيضون بالاستحسان والعجب ويستطيرون شوقاً إلى مصنف يضم ذلك، ثم يجتمعون إليه مقترحين أن يملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، واستشفعوا عليه بكل عظيم، إلى أن رحل إلى مكة والتقى بالامير أبي الحسن بن وهَّاس الذي ألح عليه في الطلب فاستجاب له، فألف كتابه الكشاف.

منهج الزمخشري في تفسير الكشاف:

موضوع الكتاب تفسير آيات الذكر الحكيم، وقد غلب عليه التأويل الاعتزالي نصرة لمذهب المعتزلة، وكان أكثر فيه من التأويل والتخييل وحمل الآيات على المجاز بما يتفق مع عقيدة

1 شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الاعيان، تح احسان عباس، دار صادر، دط، دت، بيروت، لبنان، 168/5.

2 السمعاني، الانساب 298/6.

3 معجم الادباء 147/7.

المعتزلة، كان يحمل الآيات المتشابهات على المحكمات إذا تعارضت مع مذهبه، وهذا ما سنراه عند دراستنا لأصول المعتزلة الخمسة وانعكاساتها على تفسير الكشاف في الفصل الثاني ـ إن شاء الله ـ أيضا من مميزات الكشاف، خلوه من الحشو والتطويل، مع جمال العبارة وجزالة اللفظ، وقلة الاسرائيليات، وعنايته بموضوع الاعجاز البياني للقرآن، وأخيرا اعتماده أسلوب الفنقلات في مدارسة التفسير.

حواشيه:

من أبرز الحواشي على الكشاف حاشية محمد بن عليان المرزوقي، وهي منشورة ضمن كتاب الكشاف طبعة العبيكان بالرياض، وهي النسخة المعتمد من الكشاف في بحثنا هذا.

ـ حاشية شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي المتوفى سنة 743هـ بعنوان، فتوح الغيب في الكشف عن قاع الريب.[1]

ـ حاشية الامام قطب الدين الرازي المتوفى سنة 766هـ.[2]

مكانته وأقوال العلماء فيه:

إن الكشاف حافل بموضوعات كثيرة منها الاعتزال واللغة والنحو والبلاغة والأدب والفقه والقراءات وما يتصل بها من تعليل وتدليل وتمحيص حتى أن صاحبه أعجب بتفسيره بعد إكماله فقال:

إنَّ التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيهما لعمري مثل كشافي

إنْ كنتَ تبغي الهدى فألزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي.

إن مما يمدح به الكشاف أنه كشف اسرار بلاغة القرآن، وأوضح وجوه اعجازه، وأبان عن المعاني التي تفهم من التركيب اللفظي، في أسلوب أدبي بارع، وقد نقل منه أغلب من جاء بعده من المفسيرين أمثال أبي حيان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط الكثير من المسائل النحوية ووجوه الاعراب، ونجده يشيد بما للزمخشرى من مهارة فائقة فى تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه. حيث يصفه بأنه أوتى من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ.[3]

ـ وقال فيه ابن خلدون: « ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال».[4]

---

1 حاجي خليفة كشف الظنون، 1478/2.

2 نفس المرجع والصفحة، 1478/2.

3 تفسير البحر المحيط 85/7.

4 مقدمة ابن خلدون ص 762.

طبعاته والطبعة المعتمدة في البحث:

طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة لكننا اعتمدنا الطبعة الأولى، لسنة 1414هـ/ 1998م، من طبعات مكتبة العبيكان، بالرياض، بتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، وقد اعتمدنا هذه الطبعة لاشتمالها على كتاب الانتصاف أحمد ابن المنير السكندري، وحاشية محمد بن عليان المرزوقي، مما يسهل علينا العمل بالمنهج المقارن في دراسة آراء الزمخشري ومقارنتها بآراء غيره من العلماء.

ثالثا: تعريف علم الكلام، و نشأة الفرق الكلامية، وتطورها

1 ــ تعريف علم الكلام

علم الكلام هو لفظ مركب من علم والكلام، ودون الخوض في التعريف اللغوي، أو تعريف طرفي هذا المركب الاضافي كل على حدا بل سنعرض مباشرة تعريف علم الكلام بوصفه علما على علم معين، ومن أسمائه: علم أصول الدين، الفقه الاكبر، علم النظر والاستدلال، علم التوحيد والصفات، علم العقائد الإسلامية.[1]

وقد تعددت تعريفاته من عالم لآخر نعرض أهمها:

1 – 1 تعريف الامام الفرابي (ت 339هـ)

عرف علم الكلام بقوله:« وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما يخالفها بالأقاويل ». [2]

والمقصود بالآراء حسب هذا التعريف هو الجوانب الاعتقادية التوحيد والنبوة، أما الأفعال فيقصد بها الأحكام الشرعية الفقهية وذلك بإبطال الشبهات حولها وإثبات مطابقتها لمصالح المكلفين في الحال والمآل.

1 – 2 تعريف ابن خلدون (ت 808هـ)

عرف علم الكلام بقوله:« علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».[3]

وهذا التعريف يقترب من تعريف الامام الغزالي لعلم الكلام في أنه قصر علم الكلام على الاتجاه السني، وأنه جعل وظيفته الحجاج والدفاع عن العقائد الايمانية دون وظيفة تحصيل المعرفة، فقد

---

1 في شرح هذه الاسماء وسبب تسمية علم الكلام بها، انظر محمد صالح محمد السيد،مدخل إلى علم الكلام،(دط)2001 دار قباء القاهرة،ص 23.

2 أبو نصر الفرابي، أحياء العلوم، تح، عثمان أمين، ط3، 1986 مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص 131.

3 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،(دت) دار الجيل بيروت، لبنان، ص 547.

عرف الإمام أبو حامد الغزالي علم الكلام بقوله:« وإنما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة»[1].

1 – 3 تعريف محمد عبده (ت 1325هـ)

عرف علم الكلام بقوله:« علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب ان يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم».[2]

يلاحظ على هذا التعريف أنه عرف علم الكلام بموضوعه وأهم مباحثه، كما أنه حصر علم الكلام في الجانب الحجاجي دون التطرق لجانب التحصيل المعرفي.

1 – 4 تعريف الايجي (ت 756هـ)

عرف علم الكلام بقوله:« والكلام علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه».[3]

يلاحظ على هذا التعريف أنه لم يقصر علم الكلام على فرقة دون أخرى من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، كما أنه يشمل الوظيفة الحجاجية لعم الكلام وهي ايراد الحجج في الدفاع عن العقائد الدينية، كذالك الوظيفة التحصيلية حيث أشار إليها بقوله: « يقتدر معه» والاقتدار ينتج أساسا عن التحصيل العلمي ثم الملكة الذاتية، كما أن هذا التعريف يمكن أن يشمل الجانب الاعتقادي دون الفقهي (العملي) عند الفرق المختلفة المنتسبة إلى الإسلام دون استثناء وهو الدفاع عن العقائدها حتى ولو خطأت في تلك العقائد.

ــ من خلال عرضنا لهذه التعاريف ومناقشتها نرى أن أقربها إلى الصواب والإحاطة والشمول هو تعريف الامام الايجي رحمه الله.

2 ـ نشأة الفرق الكلامية وتطورها

ـ ظهرت فرق كلامية كثيرة في التاريخ الإسلامي من أبرزها فرقتي الاشاعرة والمعتزلة، وسنتكلم في بحثنا هذا عن هاتين الفرقتين بما يخدم موضوعنا، لكن بداية نعرض بعض العوامل التي أسهمت في نشأة وتطور الفرق الكلامية.

ـ تعود نشأة الفرق الكلامية إلى مناقشات سياسية ودينية وثقافية، ركزت في البداية على أحكام فقهية لها علاقة بالمسائل السياسية الطارئة كمسألة الإمامة، بسبب الخلاف حول تولي الإمارة بدء

1 أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،تح، عبد الحليم محمود، ط2، 1985م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 87.

2 محمد عبده، رسالة التوحيد، دط، دت، شركة الامل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.، ص 05.

3 عبد الرحمن بن أحمد الايجي، المواقف في علم الكلام، دط، دت، عالم الكتب، بيروت لبنان، ص 07.

بالخلاف بين الصحابة ـ رضي الله عنهم جميعا. ثم الخلافات التي ظهرت في عهد بني أمية خاصة بين الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ والبيت الأموي، وما انجر عن هذه الخلافات من انقسامات في الامة الإسلامية وحول مسائل فقهية منها مسألة حكم مرتكب الكبيرة لأن الذين وقع بينهم القتال بداية هم الصحابة ـ رضي الله عنهم جميعا ـ فاختلفت وتباينت المواقف في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا ومآله في الاخرة، هذه المسألة التي انجر عنها نقاش في ابواب من العقيدة تمثل مسألة العدل وهو صفة من صفات الله تعالى، تزامن هذا النقاش مع نقاش آخر حول مسألة الإمامة وشروط الإمام ومبلغ سلطاته، ومرد استمداده شرعية ملكه، هذه هي الظروف السياسية التي دفعت إلى نشأة علم الكلام والفرق الكلامية.

ـ أما أثر الجانب الديني في نشأة علم الكلام والفرق الكلامية فقد تمثل في مناقشة القرآن الكريم للكثير من الجوانب العقائدية مثل اسماء الله تعالى وصفاته وكل ما يخص النبوة، فقد وردت في القرآن الكريم الكثير من آيات الحجاج عن عقيدة التوحيد واثبات النبوة، كذلك عمد علماء الإسلام ومتكلمو الفرق الإسلامية إلى مناقشة الآراء العقائدية للمنتسبين إلى ديانات غير الإسلام، يضاف إليها موجة الالحاد والزندقة والشعوبية التي غدت تقدح في الجنس العربي ومن ثم القدح في النبوة وصولا إلى القدح في كلام الله تعالى ونقض القول بإعجازه. [1]

ـ أما عن أثر الجانب الثقافي في تطور علم الكلام فقد كان هدف علم الكلام عند نشأته، الدفاع عن العقائد الإسلامية ثم ما لبثت ان انحرف إلى مناقشات ميتافيزيقية يغلب عليها المنطق وتختلط فيها مواضيع الفلسفة اليونانية مع موضوع علم الكلام، لذلك كان تاريخ علم الكلام في بدايته موافقا لحقيقته وتاريخه المتأخر مخالف لها[2] حيث لعبت الترجمة دورا مهما في نقل الموروث الفكري اليوناني إلى المشهد الثقافي العربي والاسلامي عامة، رغم ما بين الفلسفة وعلم الكلام من اختلاف فالاخير يستمد مسائله من عقائد الشريعة الإسلامية كما جاءت عن السلف من غير رجوع إلى العقل، لأن العقل لا ينتج المسائل العقدية بل يحتج لها، فهو ليس مؤهلا لإثبات حقائق الشرع، أما الفلسفة فقد مجدت العقل وجعلته كفأ لإثبات قواعد الشريعة والعقيدة.[3]

ولقد بدأت اتصال الفرق الكلامية في الإسلام بالفلسفة اليونانية منذ بداياتها الاولى وهو ما أشار إليه الشهرستاني الذي حاول تحديد الفترة التي بدأ فيها اطلاع فرقة المعتزلة على كتب الفلاسفة بأن

---

1 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، اعجاز القرآن، منشور ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام ط3، 1976م، دار المعارف، القاهرة، ص04.

2 انظر رشدي راشد، وآخرون، دراسات في تاريخ علم الكلام والفلسفة، ط1،2014، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 67.

3 نفس المرجع ص 67.

رد ذلك إلى عهد واصل ابن عطاء ثم تبعه شيوح المعتزلة من بعده أيام الخليفة المأمون فخلطوا مناهجها بمناهج علم الكلام ومنهم ابو الهذيل العلاف، أما الجاحظ فقد اطلع على الكثير من كتب الفلاسفة، وتعرض إلى الترجمة ونقد طريقة المترجمين في عصره، وأنهم لم يكونوا فلاسفة فلذلك لم تخلو ترجمتهم من الاخطاء، وذكر في مؤلفاته الكثير من كتب اليونان التي قرأها وأفاد منها.[1]

1 علي أبو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط2، 1988، دار الطليعة، بيروت، ص 56، 57.

الفصل الأول: جهود المتكلمين وأثرها في البحث البياني

المبحث الأول: جهود المتكلمين الأشاعرة

المبحث الثاني: جهود المتكلمين المعتزلة

المبحث الثالث: الاستعارة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة

الفصل الأول: جهود المتكلمين واثرها في البحث البياني

كان لعلماء الفرق الكلامية دور كبير في نشأة وتطور علوم البلاغة العربية، وسنقصر في بحثنا هذا على جهود فرقتي الاشاعرة والمعتزلة وذلك للأسباب التالية:

أ- أن المعتزلة والاشاعرة أكثر الفرق التي تناولت القضايا العقائدية بالدراسة العقلية.

ب- أن المعتزلة والاشاعرة أكثر الفرق التي اهتمت بالدلالة اللغوية للنصوص الشرعية.

ت- ارتباط فرقتي المعتزلة والأشاعرة كل منهما بالأخرى، بحكم ظروف النشأة، حيث كان علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري1 رأس الأشاعرة المتوفى سنة 324هـ تلميذا لأبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي المتوفى سنة321هـ 2 كذلك فقد تعرضت كل فرقة منهما لآراء الفرقة الأخرى بالنقد والنقض.

1 انظر ترجمته في وفيات الأعيان 284/3، و تاريخ بغداد 346/11.

2 انظر ترجمته في وفيات الأعيان 183/3، طبقات المعتزلة 304.

المبحث الأول: جهود المتكلمين الأشاعرة في البحث البياني

لقد أسهم كبار علماء الاشاعرة في تطور الدرس البلاغي العربي، بوصفهم إحدى أهم الفرق الكلامية الإسلامية، حيث ظهرت على أيديهم الكثير من المصنفات العلمية في مجال الدفاع عن القرآن الكريم في جانبه البياني والبلاغي، تناولت في ثناياها الكثير من المباحث البلاغية، كما هو الحال عند القاضي الباقلاني وفخر الدين الرازي، وظهرت في أحضان فرقة الاشاعرة أهم نظرية في الدراسات اللغوية إلى عصرنا الحالي وهي نظرية النظم التي ظهرت على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وفي ما يلي نعرض أبرز نتاج هؤلاء الأعلام الثلاثة في مجال البحث البلاغي وهم القاضي أبو بكر الباقلاني(ت403هـ)، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وفخر الدين الرازي(606هـ).

المطلب الأول: القاضي أبو بكر الباقلاني

يعد كتاب القاضي الباقلاني[1] " إعجاز القرآن" واحدا من أهم الكتب التي تناولت الإعجاز البياني في القرآن الكريم فقد كرسه للدفاع عن القرآن الكريم، ودحض دعاوى كل من حاول العبث بألفاظ القرآن الكريم وتشويه وجوه الإعجاز البياني فيه، خاصة القائلين بالصرفة،[2] وقد اتخذ الباقلاني في دفاعه عن القرآن الكريم أساليب بلاغية متنوعة، وقد أسهم هذا الكتاب في نشأة وتطور البحث البلاغي ومحاولة الوصول إلى تحديد مفهوم فكرة الإعجاز في القرآن الكريم، لذلك أصبح كتابه من أهم الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن، بالإضافة إلى أنه يعد من أبرز المصادر البلاغية التي كان لها الأثر البالغ في تطور علوم البلاغة العربية.

وقد ضمن كتاب " إعجاز القرآن " مباحث بلاغية كبرى نذكرها في ما يلي:

- الفصل الذي عنوانه" جملة وجوه إعجاز القرآن حيث يذكر الوجه الثالث من وجوه الإعجاز وقد سماه " نظمه البديع، وتأليفه العجيب وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن محاكاتها " مبرزا فيه وجوه تميز الأسلوب القرآني وبلاغته اللذان يتميزان عن أسلوب وبلاغة البشر قاطبة، وقد أبطل الفكرة القائلة بأن إعجاز القرآن يكمن في ما تضمنه من فنون البديع، لان ذلك موجود في الشعر ويسهل تعلمه والتدرب

1 هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري، ولد بالبصرة في العراق سنة 328للهجرة، كان من ابرز علماء الأشاعرة، من مؤلفاته: إعجاز القرآن، هداية المرشدين، الاستبصار، توفي ببغداد سنة 403 للهجرة، انظر ترجمته في، وفيات الأعيان لشمس الدين بن خلكان، تح إحسان عباس، ج 4 ،دط، 1972م، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 269، وكتاب تاريخ بغداد مدينة السلام للخطيب البغدادي تحقيق بشار عواد معروف، ط1،ج 3، سنة2001/1422 دار الغرب الإسلامي، ص364.

2 القاضي أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر، ط5، سنة1997م دار المعارف، مصر،ص30.

عليه، فهو في مقدور البشر،[1] فالبديع في ذاته ليس معجزا، وإنما المعجز هو الصورة الباهرة التي جاء عليها في القران، واتساقه مع سائر النظم القرآني اتساقا عجيبا ورائعا.

- يستخدم الباقلاني مصطلح البديع كما هو متعارف عليه في زمانه حيث كان هذا المصطلح يضم كل علوم البلاغة الثلاثة التي انفصلت فيما بعد عن بعضها، فنجده يعد الاستعارة والتشبيه من البديع واللذان أصبحا لاحقا من مباحث علم البيان، ويجعل المساواة وبعض صور الإطناب من البديع، وكلها أصبحت من مباحث علم المعاني.
- فصل عنوانه" فصل في وجوه البلاغة " ناقش فيه وجوه البلاغة العشرة التي حددها الرماني[2] في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" وهي الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان ويقدم أمثلة على هذه الوجوه من آي القرآن الكريم ثم يخلص إلى أنها لا تمثل وجه إعجاز القرآن لوحدها بل الإعجاز يكمن في اتساقها في نظم بديع وسموها عن كلام البشر.
- عرض بعض المآخذ المسجلة على الشعر والتي هي نقص لا يمكن بحال من الأحوال أن يتضمنه القرآن فقال:" فإنك ترى الشاعر يوصف بالنقص عند التنقل من غرض إلى آخر، أما القرآن فهو يجعل المؤتلف كالمختلف والمتباين، والمتناسب كالمتنافر، والإفراد إلى حد الآحاد وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج معه الكلام على حد العادة".[3]
- قدم نقدا بلاغيا لمعلقة امرئ القيس باعتبارها أجود ما قالته العرب[4]، وقصيدة أبي تمام التي مطلعها:

متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل وصدرك منها مدة الدهر آهل[5]

ووصفه بأنه يتصنع في هذه القصيدة كي يجعل لكل صنف من أصناف وأبواب البلاغة حضا من أبيات هذه القصيدة.[6]

- يرى ألا حاجة إلى المحسنات البديعية إذا لم يقتضها المعنى ولم يتطلبها السياق.

هذه المناقشات البلاغية كانت دافعا فيما بعد للعديد من علماء البلاغة لدراسة التواؤم بين اللفظ والمعنى في أي نص أدبي، ومن أبرزهم عبد القاهر الجرجاني.

---

1 القاضي أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص111.

2 على بن عيسى الرماني، المعتزلي (296 – 384 ه) من مؤلفاته النكت في إعجاز القرآن، انظر ترجمة الرماني في وفيات الأعيان لابن خلكان 461/2، ومعجم الأدباء 14 / 73 – 78.

3 الباقلاني، اعجاز القرآن، مرجع سابق، ص112.

4 المرجع نفسه، الصفحات من 159 إلى 183.

5 ديوان أبي تمام، ص 137.

6 نفس المرجع،ص108.

المطلب الثاني: عبد القاهر الجرجاني

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني المولد، ولد في سنة 400هـ وتوفي سنة 471هـ من أشهر مؤلفاته " دلائل الإعجاز "و " أسرار البلاغة " ومن أهم مؤلفاته، كتاب دلائل الإعجاز، وكتاب أسرار البلاغة، وقد انطلق الجرجاني في بحثه البلاغي كغيره من أغلب أهل زمانه من موضوع إعجاز القرآن حيث:

- عارض القول بالصرفة ورأى أن البلاغة والفصاحة هي سر إعجاز القرآن، وليس ذلك من طريق اختيار الألفاظ أو الاستعارات وألوان المجاز بل من طريق النظم، فالنظم والتأليف في القرآن هما سر إعجازه .
- عارض عبد القاهر الجرجاني النقاد الذين كانوا ينحازون إلى اللفظ ويقدمونه على المعنى، ويفصلون بين اللفظ والمعنى خاصة "ابن قتيبة"، فتقديم اللفظ، قتل الفكر، لأن الفصاحة ليست في اللفظة، وإنما هي في الفكر الذي يصنع تركيباً من الألفاظ فصيحاً.
- تضمن كتاباه كل علوم البلاغة حتى أصبح يعرف بأنه مؤسس علوم البلاغة العربية[1].
- وتعد نظرية النظم أهم انجازات عبد القاهر الجرجاني في مجال البحث البلاغي، والنظم كما هو في اللغة الجمع والتأليف بين الشيء والشيء فإنه في الاصطلاح كذلك جمع الكلام إلى بعضه للتعبير عن معنى من المعاني، وقد اشترط عبد القاهر الجرجاني أن يأتي هذا الجمع بين الكلام على مقتضى النحو العربي، وهذا ما قرره بقوله: « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، ونحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها.[2]» حيث أن الكلام ينقسم إلى اسم وفعل وحرف ولا يكون الكلام من جزء واحد من هذه الأجزاء وكلها تتعلق في ما بينها وفق قواعد النحو العربي، إذ لابد للجملة من مسند ومسند إليه، وأن الكلام لا يكون من حرف وفعلن ولا من حرف واسم إلا في النداء، فالنظم عنده ما هو إلا توخي قواعد النحو قال في دلائل الإعجاز:« ... وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه في وجوه كل باب وفروقه ... ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وما ينبغي له.»[3] فالنحو هو ميزان الكلام عند الجرجاني وإن اعترض على ذلك معترض لذلك قال:

---

1 أحمد مصطفى المراغي،تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها،ط1،سنة 1329هـ/1950م، شركة البابي الحلبي، القاهرة، مصر ص21.

2 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص 81.

3 مقدمة دلائل الإعجاز للجرجاني.

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه[1]

لو نقب الأرض باغ غير ذاك له معنى وَصَعَّد يَعْلُو في تَرَقِّيه

ما عاد إلا بخسر في تَطَلُّبِه ولا رأى غير غَيّ في تَبَغِّيه

وجوهر النظم هو المعاني التي يؤديها نظم الكلام فيحسن في النفس، وليس بمجرد معرفة قواعد النحو وأصوله، فلا يهم معرفة مسميات المصطلحات والقواعد وأبواب النحو بل الذي يهمنا هو صحة نظم الكلام وفق قواعد النحو، وهو ما يتقنه البدوي في البادية دون أن يسمع بمسميات وقواعد النحاة[2]، وعلى هذا المنوال قدم نقدا بلاغيا نحويا لأبيات شعر انتقاها من عدة شعراء مثل الفرزدق، المتنبي، البحتري وابراهيم بن العباس، وقد أوضح الجرجاني ألا تفاضل بين الاعراب فمثلا الرفع والنصب في الكلام لا تفاضل بينهما من كلام إلى آخر، وإنما التفاضل في استمرار احد الكلامين على مقتضى النحو وعدول الآخر عنه، وهو يخلص في الأخير إلى أن النظم ليس مجرد سلامة الحروف مما يثقل على اللسان بل« إنه عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الاصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي»[3] وهو في كل حين يؤكد أن حسن النظم ومزيته تكون بسبب المعاني والاغراض التي يوضع الكلام لأجلها ثم بحسب موقع الالفاظ من بعض واستعمال بعضها مع بعض، فالنظم عند الجرجاني هو ألفاظ مرصوفة وفق قواعد النحو تحمل معنى قيلت من أجله ونظمت إلى بعضها لادائه، واستعملت فيها الصور البيانية من تشبيه وكناية واستعارة، وهذه الاخيرة قد تكون مبتذلة لكن حسن النظم يجعل لها مهنى جميل مثل قول المتنبي:

وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا[4]

فهذه استعارة مبتذلة معروفة فكل الناس يعترف بأسر من أحسن له، حتى أنه ليختار المقام عنده إن أمكنه ذلك، لكن المتنبي في هذا البيت أحسن نظم الكلمات إلى بعضها بحيث اكسبها جمالا وحلاوة.

ومن نتائج هذا الكلام أن المعنى يتغير إذا تغير النظم من خلال التقديم والتأخير، ودائما القصد من الكلام هوالذي يحدد نظمه لكن لابد من مجيئه على مقتض قواعد النحو.

---

1 هذه الأبيات من قصيدة نظمها في إيضاح مبتغاه من نظرية النظم وقد اورها في مقدمة كتابه دلائل الاعجاز ومطلعها:

أني أقول مقالا لست أخفيه ولست ارهب خصما إن بدا فيه

2 نفس المرجع ص 320.

3 الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 275.

4 هذا البيت من قصيدة في مدح سيف الدولة الحمداني، مطلعها:

لكل امرىءٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوّدَا وعادَةُ سيفِ الدّوْلةِ الطعنُ في العدى

انظر ديوان أبي الطيب بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا – إبراهيم الإبياري – عبد الحفيظ شلبي دط،دت، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 181/1.

هذه هي نظرية النظم التي تعد أعظم نظرية لغوية أثرت في من جاء بعد الجرجاني حتى عصرنا الحال وممن تأثروا بهذه النظرية نذكر سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى سنة 626هـ صاحب كتاب مفتاح العلوم، حيث خصص القسم الثالث منه للبلاغة، معتمدا في تحليلاته ومباحثه على ما توصل اليه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة، ويبدو ذلك جليا من خلال تقسيمه البلاغة إلى علمين أساسيين هما علم المعاني الذي أخذ مباحثه وأسسه من كتاب أسرار البلاغة، وعلم البيان الذي أخذ أسسه ومباحثه من كتاب دلائل الاعجاز.

المطلب الثالث: فخر الدين الرازي

هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري، يكنى بأبي عبد الله وأبي المعالي وأبي الفضل، وابن الخطيب الري، ويلقب بألقاب كثيرة منها: فخر الدين والإمام، إلا أن من أشهر ألقابه الرازي ولد في مدينة الري في سنة 544هـ، كان أبوه أحد علماء الشافعية في مدينة الري، توفي يوم عيد الفطر سنة606 للهجرة، أهم مؤلفاته: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز اعتقادات المسلمين والمشركين.[1]

أهم مظاهر البحث البلاغي عنده:

- اهتم بتطبيق نظرية النظم في تفسيره الكبير، فهو يرى أن القرآن معجز بفصاحة ألفاظه وشرف معانية فضلاً من نظمه، ويستمد الرازي رأيه من الجرجاني ـ الذي يقول أن فصاحة الكلمات لا ترجع إلى الفظ وإنما ترجع إلى المعنى والنظم ـ وذلك لبيان الوجه البلاغي في ترتيب سور القرآن الكريم واستدل بها إلى جانب الفصاحة في قضية الإعجاز وهذا ما لم يصرح به الجرجاني ولا المفسرون من قبل الرازي فكان المفسرون يبينون سبب مجيء آية بعد آية، ولكنهم لم يتخذوا منه موضوعاً مستقلا، ولم يحاولوا ربط آيات القرآن الكريم ربطاً بلاغياً ولم يسموا ها نظماً، وإنما استعملوا كلمة الفصاحة، وهكذا يفسر الفخر الرازي ترتيب الآيات في السورة، وترتيب السور في القرآن الكريم تفسيراً بلاغياً قائماً على نظرية النظم، ويبدو ذلك واضحا من خلال كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ".[2]
- جعل كتابه " نهاية الإيجاز " على جملتين أو مبحثين، مبحث خاص بالمفردات ومبحث خاص بالنظم والتأليف ففي المبحث الأول الخاص بالمفردات ناقش فيه موضوع المحسنات البديعية والصور البيانية وفي المبحث الثاني ناقش قضية النظم التي أبدعها عبد القاهر الجرجاني، واعتنى بالمحسنات المعنوية.

---

1 انظر في ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 82/8 وطبقات الشافعيين 778/1 وفيات الأعيان، لابن خلكان248/4-249، تاريخ الإسلام للذهبي 137/13.

2 البلاغة تاريخ وتطور، مرجع سابق، ص273.

- يقسم دلالات الألفاظ إلى وضعية مثل التشبيه لان الألفاظ فيه تدل على معانيها الحقيقية، ودلالة عقلية تعبر عن الفصاحة ويدخل تحتها الاستعارة والمجاز والكناية، فهي بعيدة المعاني لا تتأتى إلا بالفصاحة.
- يؤكد الرازي أن النظم الصحيح في الكلام لا يكون إلا بتوخي معاني النحو، وهذا عين ما قاله عبد القاهر الجرجاني من قبل، ويظهر ذلك خاصة في تفسيره " مفاتيح الغيب " في مواضع التقديم والتأخير والحذف والإضمار وتقدير المضمر في سبيل بيان الوجه الذي يستقيم فيه بناء الآية في القرآن الكريم.
- يقسم الكلام إلى طرف ادني وطرف أعلى وطرف أوسط بينهما ثم يخرج الطرف الأدنى من البلاغة ويجعل الطرف الأوسط بليغا بحسب الحال التي قيل فيها ويجعل الطرف الأعلى هو المعجز وهو كلام الله جل جلاله.[1]

1 البلاغة تاريخ وتطور، مرجع سابق، ص277.

المبحث الثاني: جهود المتكلمين المعتزلة في البحث البياني

تعتبر المعتزلة من أهم الفرق التي اعتنت بالبحث البلاغي وساهمت في تطوره، وكانوا أنشط من تسابق نحو دراسة هذا العلم منذ وقت مبكر جدا ابتدءا من القرن الثاني الهجري، فلقد نشأت البلاغة بين أيدي المتكلمين وخاصة منهم المعتزلة، ثم أخذت تتطور وتنضج على أيدي هذه الطائفة، ومن أول من خاض غمار هذا العلم أوائل المعتزلة من أمثال عمر بن عبيد وبشير بن المعتمر و أبي عثمان الجاحظ، وتعهدها في فترة التطور والنمو الرماني والقاضي عبد الجبار وأمثالهما، واكتمل صرحها ونموها على يد جار الله الزمخشري الذي أبدع في هذا المجال من خلال كتابه الكشاف، ويعتبر المعتزلة من أهم من ساهم في البحث البلاغي وتطوره لكونهم امتازوا بالملكة اللغوية الضرورية لمعالجة مسائل البلاغة وكون لديهم رصيد معرفي كبير من العلوم اليونانية كالفلسفة والمنطق، وعلم الكلام، ومما أدى إلى نبوغهم في البلاغة والعناية بها هو ما امتاز به زمانهم من كثرة الفرق المعادية لهم وأعداء الإسلام ومناظرة أصحاب الملل والعقائد الأخرى.

لقد ترك المعتزلة تراثا ضخما لم يتبق منه إلا القليل تعد المادة الوحيدة للدارسين في مجال البلاغة اليوم وتعد المعتزلة مدرسة عقدية كلامية أكثر منها مدرسة أدبية تمثل مجالا معينا في النقد والبلاغة ولذلك كان أثرهم العقدي واضحا في بحثهم البلاغي.

إن من أبرز أعلام المعتزلة الذين اللذين تحدثوا في البلاغة على مر الفترة الممتدة من القرن الثاني للهجة حتى القرن السادس للهجرة إبراهيم النظام وأبي عثمان الجاحظ وجار الله الزمخشري.

المطلب الاول: بشر بن المعتمر(ت 210هـ) :

وهو رئيس معتزلة بغداد،[1] من كبار المعتزلة انتهت إليه رياستهم ببغداد توفي سنة عشرة ومائتين[2] كان بليغا فصيحا شاعرا مجيدا، وكان راوية للشعر حيث يقول الجاحظ في الحيوان" وروت المعتزلة المذكورون كلّهم رواية عامّة الأشعار، وكان بشر أرواهم للشّعر خاصّة"[3] ولقد ترك بشر بن المعتمر من تراثه البلاغي صحيفته المشهورة، والتي جاء فيها توجيهات للناشئة وتعليمهم أساليب الكتابة والخطابة وإرشادهم إلى أقصر الطرق لإجادتها، وذلك لطبيعة البيئة التعليمية في القرنين الثاني والثالث التي كانت وراء كتابتها ولقد أصبحت مسائله تطرح في المجالس وحلقات الدرس، وكانت له مجالس خاصة مع طلابه الذين يتلقون العلم على يديه، ولعله كان يقرر لهم في مجالسه تلك الأصول البلاغية التي جمعها في صحيفته ويمكن أن نجمل الآراء النقدية و البلاغية التي وردت في الصحيفة فيما يلي:

1ـ تحدد الصحيفة للأديب أوقات يسمح فيها القول وتجود القريحة أوقات تكون أبعد ما تكون عن الكد والتكلف بل يكون عن سجية وصفاء النفس.

2ـ الدعوة إلى البعد عن التوتر والتعقيد سواء في الألفاظ أو في المعاني، فالتعقيد هو الذي يستهلك معانيك و يشين ألفاظك.

3ـ مشاكلة اللفظ للمعنى: أي إلباس كل معنى ألفاظ تليق به، وأشدها تعبيرا عنه.

4ـ شرط القافية الجيدة التي استقرت في مكانها غير نافرة ولا قلقة، فالمعنى هو الذي يسوق إليها سوقا متلاحمة مع ألفاظ البيت تلاحما متينا، ومن هنا كانت القافية السيئة هي التي " لم تحل في مكانها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها".

5ـ تقسيم الصحيفة للناس من حيث قدرتهم الفنية ومواهبهم الأدبية واقتدارهم على الكلام إلى ثلاث مراتب:

أ: مرتبة الأديب الحاذق المطبوع، الذي يمتلك الموهبة الأدبية الحقيقية، فيقدم أدبا جيدا وقولا ساميا رفيعا.

ب: مرتبة الأديب المتوسط، الذي لا يملك الطبع الفياض أو القدرة الكاملة على العمل الجيد ونصيحة بشر له أن يتأنى ويتروى في طلب الكلام، فقد لا يسمح له القول من أول وهلة.

ج: المرتبة الثالثة، هي مرتبة المرء الذي تنعدم عنده القابلية للأدب، ولا تتوفر لديه الموهبة اللازمة، ومن كان كذالك فإن الأجدر به أن يدع هذه الصنعة فليست منه وليس منها.[4]

---

1 أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين الله (المتوفى: 840 هـ)، طبقات المعتزلة، 52/1

2 أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، 33/2

3 الجاحظ ،كتاب الحيوان، 531/6

4 التراث النقدي و البلاغي عند المعتزلة، ص 39

المطلب الثاني: النظام(ت 220هـ) :

وهو إبراهيم بن هانئ النظام أبو إسحاق البصري مولى بني بجير، أحد كبار المعتزلة في البصرة وكان شاعرا أديبا بليغا وله كتب كثيرة في الاعتزال و الفلسفة ذكرها ابن النديم وهو شيخ الجاحظ ويقول عنه تلميذه الجاحظ :« إن الأوائل يقولون: إنه يكون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فلو كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام» وكان النظام يحفظ القرآن والإنجيل والتوراة والزبور وتفسيرها ويحفظ من الشعر الكم الكبير، كما كان بارعا في الفلسفة والفقه وله جهود في تفسير القرآن والحديث عن إعجازه، ولقد كان ظاهرا عند النظام إطلاقه لعنان العقل بصورة لا نظير لها.

وتميز النظام بنظرية الصرفة التي تنفي الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، حيث يقول:« إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي عليه السلام ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة...وإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم و التأليف ».[1]

المطلب الثالث: الجاحظ(ت255هـ) :

وهو من الأوائل الذين كتبوا في الدرس البلاغي ومواضيعه وعلومه وترك لنا كتابا كبيرا في ذلك هو " البيان و التبيين " وما كان متفرقات في كتبه الأخرى لكن الجاحظ لم يكن له منهج محدد في الحديث عن البحث البلاغي وعلومه ومادة مستقلة فيه له خصيصا كما يقول العسكري "عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير"[2] وتعد ملاحظات الجاحظ النواة الأولى للبلاغة العربية التي جاءت بعد ذلك، وأهم مصادرها، ومن أتى بعده دأبوا على تقنين وتقعيد البلاغة و مباحثها.

مسألة الخطابة عند الجاحظ وارتباطها بالبلاغة. فلقد كانت مباحث الخطابة في تعبير الجاحظ ترمي إلى مباحث البلاغة وذلك كون الخطابة أرض المعتزلة للمناظرة والجدال والإقناع وسلاحهم ومن ثم أصبحت الخطابة صناعة تتطلب الإتقان والتعلم، فأنتجت لنا الملاحظات البلاغية التي بنيت عليها المباحث البلاغية الحديثة؛ فأصبحت الخطابة كلاما منظما وذا أصول وقواعد، وأصبحت مجالس الكوفة والبصرة ومساجدها مدارس تعلم فيها هذه الأصول.

وفي كتاب البيان والتبيين نلاحظ أن الجاحظ تطرق إلى كل مسائل الخطابة وقواعدها وقد افتتح الجاحظ كتابه بالحديث عن العيي والحصر وعيوبهما، وتحدث كثيرا عن فضيلة البيان والقدرة على التعبير والكلام

1 الشهرستاني، الملل و النحل، 63/1، 64

2 أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص5

وضرب أمثلة من القرآن والشعر العربي، وتحدث عن عيوب الخطابة في اللسان وما يعتريه من الآفات الصوتية كاللثغة والقلازم وهو كثرة الصياح والضجم وهو اعوجاج الفم والفقم وما شابه ذلك.

وذكر الجاحظ في كتابه أسماء خطباء العرب وتحدث عن صفاتهم وأخبارهم، ومن جمع منهم الخطابة والشعر كعمرو بن الأهتم، والبعيث المجاشعي، والكميت بن زيد والطرماح وغيرهم، وأورد الكثير من خطب العرب، ووضعها بين أيدي تلاميذه كونها مادة علمية تتضمن في مظامنها قواعد البلاغة وقوانينها.

ولم يهمل الجاحظ الحديث عن الإشارة ودورها في البلاغة وجعلها نوعا من أنواع البيان قد تتفوق أحيانا على الكلام. كما كان الجاحظ يقارن بين خطب المتقدمين وخطب المحدثين وكان يفضل خطب المتقدمين كونها بعيدة عن التكلف حيث يقول "ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظا مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعا رديئا، ولا قولا مستكرها، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين"[1] وللجاحظ كتب كثيرة في الدراسات القرآنية فله كتاب (نظم القرآن) وكتاب(آي القرآن) وكتاب (خلق القرآن) وكتاب (المسائل في القرآن) لكن هذه الكتب كلها مفقودة وما وجد منها فهي داخل ما وصل إلينا من كتبة شيء قليل.

أما نظرة الجاحظ لإعجاز القرآن البلاغي فكان يؤكد فصاحة و بيان القرآن الكريم, وذهب إلى أن وجه الإعجاز في القرآن إنما هو النظم والتأليف حيث يقول:« في كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع، الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به»[2].

كما أثبت البلاغة في ألفاظ القرآن ويقول في ذلك:« قد يستخف، الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك و تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع، العجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقع الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يفتقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج»[3].

ولقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان الألوان البلاغية في القرآن الكريم، وشرح جمالياتها بصفة مجملة دون تفريق بين أقسامها كما هو في تقسيم المتأخرين من البلاغيين، وسماها على مجملها بديعا أو بيانا، أو

1 البيان والتبيين، 85/1.

2 كتاب الحيوان، 305/4.

3 البيان والتبيين 88/1.

براعة، أو فصاحة، وعرض بعض الصور البيانية كالتشبيه والمجاز والاستعارة في القرآن الكريم وضرب أمثلة على ذلك.

البلاغة وقضاياها عند الجاحظ: حيث تداخل مفهوم البلاغة والفصاحة عند الجاحظ ولم يفرق بينهما وجعلهما جملة واحدة، وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين عدة تعريفات للبلاغة بعضها للعرب وبعضها لغيرهم، وقد اختار ما أورده في كتابه في تعريف البلاغة ما قال " وقال بعضهم:« وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك».[1] و لقد ألم الجاحظ بالفنون البلاغية اعتمادا على تقسيمه إلى علوم ثلاث: البيان، وهو الإفهام والتعبير ونقل الأفكار إلى الآخرين مثل التشبيه والاستعارة والمجاز، والبديع وقصد به الجاحظ مجموعة الألوان البلاغية وما يزين الكلام ويزخرفه مثل السجع والاقتباس والإرصاد والمعاني وتضمن الخبر والطلب.

1 البيان والتبيين، 17/1

المبحث الثالث: الاستعارة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة

احتلت الاستعارة مكانة بارزة في البحث البلاغي عند المتكلمين، وهذا ما سنبينه في المطلبين التاليين من خلال حديثنا المتواصل على فرقتي الأشاعرة والمعتزلة، ذلك أن أول من بلغنا عنه تريف للاستعارة هو الجاحظ حيث قال عنها أنها: « تسمية الشيئ باسم غيره اذا قام مقامه»[1] ثم تابعه البلاغيون على ذلك إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني والذي تطورت على يديه علوم البلاغة العربية.

المطلب الأول: الاستعارة عند المتكلمين الأشاعرة

في هذا المطلب سنعرض للاستعارة عند الأشاعرة وسنقتصر على الامام عبد القاهر الجرجاني بوصفه أبرز علماء الأشاعرة الذين كان لهم اثر كبير في البحث البلاغي.

ـ لقد عرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بأنها:« الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»[2] وقال أيضا« إن حدها أن يكون للفظ اللغوي أصل ثم ينقل عن ذلك الاصل »[3].

ـ أما عن علاقتها بالصور البيانية الاخرى فالجرجاني يرى أن الاستعارة اقرب إلى المجاز العقلي، لذلك فهو يقول أن الاستعارة « اعلم ان الاستعارة في الجملة ان يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد انه اختص به حين وضع ثم ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الاصل وينقله اليه نقلا غير لازم فيكون هناك كعارية»[4] وقد صرح الجرجاني في كتابه اسرار البلاغة ان الاستعارة مجاز لغوي، وعلى هذا معظم البلاغيين من بعده.

ـ أما عن أصلها ومبدأ البحث فيها فهو يرى أن البحث في الاستعارة يجب أن يسبقه بحث في الحقيقة والمجاز والتشبيه والتمثيل، لأن المجاز اعم من الاستعارة حيث الواجب أن يبدأ بالعام قبل الخاص والتشبيه كالأصل في الاستعارة وهي كالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره، وهي تعتمد عليه، وحسنها يكون على قدر اخفاء التشبيه.

ـ أما عن علاقتها بأنواع المجاز الاخرى من غير المجاز العقلي التي لا تقوم على علاقة المشابهة وإنما على قرائن اخرى فقد نفى الجرجاني وجود أي علاقة بين المجاز العقلي والاستعارة لان العلاقة بين طرفيه

1 البيان والتبيين 153/1.

2 دلائل الاعجاز ص 53.

3 اسرار البلاغة ص 219.

4 نفس المرجع ص 29.

لا تقوم على علاقة المشابهة بل تقوم على قرائن اخرى كالحالية ولمحلية واعتبار ما كان واعتبار ما سيكون، وعلاقة الجزئية والكلية إلى غير ذلك من علاقات المجاز العقلي التي لا تقوم على المشابهة.

ـ أما عن بلاغتها جمالها فقد قال:« ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا، وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وفضيلة مرموقة وخلابة موموقة ومن خصائصها التي تذكر بها وهي وهي عنوان مناقبها انها تعطيك الكثير من المعاني بالسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر»[1].

المطلب الثاني: الاستعارة عند المتكلمين المعتزلة

في هذا المطلب سنعرض تعريفات المعتزلة للاستعارة و سنقتصر على أبرز أعلام المعتزلة وأهمهم ابتداء من الجاحظ (ت 255ه) ثم الرماني (384ه)[2] ثم يليه السكاكي (626ه).

وكان أول ما ذكر الجاحظ الاستعارة في كتابه البيان والتبيين في شرح البيت:

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها[3]

حيث عرف الجاحظ الاستعارة من خلال شرح البيت الشعري في قوله" وطفقت، يعني ظلت. تبكي على عراصها عيناها، عيناها ها هنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه.

وعرّفها أبو الحسن الرماني بقوله: « الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة» ومثل لها بقول الحجاج: « إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها» ويذكر أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة وأبين، حيث يقول :« كل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة»[4] وتتعدى الاستعارة عند الرماني في دورها إلى الإبانة والشرح و ليس مجرد أسلوب بلاغي حيث يقول: « هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة»[5]، وقوله أيضا: « اللفظ المستعار قد نقل عن أصل إلى فرع للبيان»[6] وعلى هذا فهي تشترك مع التشبيه في البيان والاختلاف في طريقة الإبانة.

---

1 اسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 20.

2 العلامة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي، ذكره شمس الدين الذهبي من المعتزلة النحويين في كتابه سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 467

3 البيت من شواهد البيان والتبيين، وهو غير منسوب، انظر البيان والتبيين 144/1.

5 المرجع نفسه، 85

6 المرجع نفسه، 86

أما السكاكي فأخبر عن الاستعارة بقوله:« الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه به ما يخص المشبه به كما تقول: في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع، مدعيا أنه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر»[1] ومن تعريف السكاكي نرى أن الاستعارة تؤدي وضيفة الإبانة عن الصفة عن طريق ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، وهذا أدعى إلى قوة البيان في الاستعارة.[2]

ولقد أخذ السكاكي من كتابات الرماني في البحث البلاغي حيث كان متأثرا به حيث يقول:« وإذ قد عرفت ما ذكرت فلا بأس أن أحكي لك ما عند السلف في تعريف الاستعارة: حدها عند بعضهم: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة»[3]، وهو تعريف جاء به الرماني، وطبق الرماني أسلوب الاستعارة على القرآن الكريم فأثبت للاستعارة القرآنية بلاغة و تفوقا على غيرها من التعبيرات الحقيقة التي كانت ستحل مكانها، وهو يرجع هذا التفوق إلى قدرة الاستعارة على الإبانة عن المعنى، ولقد استشهد من القرآن الكريم فوقف مثلا عند قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾[4] وقارنها مع لفظها الحقيقي"عمدنا" فيقول:« حقيقة قدمنا هنا عمدنا وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من السفر، لأنه من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العدل لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بيننا»[5] وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا** ﴾[6] ومبصرة أبلغ من مضيئة لأنه أدل على موقع النعمة لأنه يكشف عن وجه المنفعة"[7] وقد نهج الرماني هذا المنهج في ضرب الأمثلة من القرآن الكريم مبينا قوة ألفاظ الاستعارة على ألفاظ الحقيقة ومقارنا بينها، ليبين قوة أسلوب الاستعارة في القرآن الكريم وإعجازه البياني، وكان يرى أن التعبير بالاستعارة أبلغ، و مرد البلاغة في الاستعارة يرجع إلى قوة الإبانة الذي عبر عنه الرماني مرارا بألفاظ متعددة نحو(الإبانة، إكساب البيان، بلاغة البيان، بيان لا يفهم بالحقيقة، أدل أظهر وأقوى في الدلالة...).

1 السكاكي، مفتاح العلوم، 163
2 عماد حسن مرزوق، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، 79
3 السكاكي، مفتاح العلوم، 169
4 الفرقان، 23
5 الرماني، النكت في إعجاز القرآن، 86
6 الإسراء، 12
7 المرجع السابق، 88

الفصل الثاني:
الجوانب الكلامية والاستعارة في تفسير الكشاف
(دراسة تطبيقية)

المبحث الأول: الجوانب الكلامية في تفسير الكشاف

المبحث الثاني: منزلة الاستعارة بين الصور البيانية في تفسير الكشاف

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الجوانب الكلامية على توجيه محذوف الاستعارة في الكشاف

الفصل الثاني:
الجوانب الكلامية والاستعارة في تفسير الكشاف
(دراسة تطبيقية)

إن الاختلاف في تفسير القرآن من جهة اللغة لا يقطع فيه النص العربي وحده،[1] بل يحكم فيه المعتقد الذي يعمل على توجيه النصوص الشرعية بما يخدم اصوله، وقد قام المعتقد عند المعتزلة على خمس أصول، كان لها أثر بالغ على التفسير عندهم، شمل كل المباحث البلاغية والنحوية، وتعمق ذلك الاثر ليشمل جزئيات في تلك المباحث النحوية والبلاغية، ومن أظهرها مبحث الاستعارة، حيث عمد التفاسير الاعتزالية وعلى رأسها تفسير الكشاف للزمخشري إلى تطويع اللغة في مبحث الاستعارة خدمة للمعتقد الاعتزالي ودفاعا عنه، وهو ما سنبحثه في هذا الفصل الذي يمثل دراسة تطبيقية لأثر الجوانب الكلامية ـ ممثلة في أصول المعتقد الاعتزالي ـ على توجيهات الإمام الزمخشري البلاغية ـ ممثلة في الاستعارة ـ وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول يعرض الجوانب الكلامية في كتاب الكشاف وتحته مطلبان الأول في بيان الأصول الخمسة في عقيدة المعتزلة وأثرها على التفسير عند الزمخشري، والمطلب الثاني في بيان أثر هذه الأصول الخمسة على بعض المسائل العقائدية المتفرعة عن الأصول الخمسة في تفسير الكشاف.

أما المبحث الثاني فإنه يدرس موقع الاستعارة بين الصور البيانية في كتاب الكشاف وتحته ثلاثة مطالب الأول في تعريف الاستعارة في تفسير الكشاف بيان أركانها وكيف عبر الزمخشري عنها في كشافه، أما المطلب الثاني فيبين أركان الكلام التي ترد عليها الاستعارة والتي نص عليها الزمخشري في تفسير الكشاف، أما المطلب الثالث، فإنه أنواع الاستعارات الواردة في تفسير الكشاف.

المبحث الثالث الذي يعرض نماذج تطبيقية لأثر عقيدة الاعتزال على توجيه محذوف الاستعارة في كتاب الكشاف وتحته مطالبان؛ الأول في الاستعارة التصريحية، والثاني في الاستعارة المكنية.

1 فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري،1390هـ/1981م، مطبعة الارشاد، بغداد، ص 218.

المبحث الأول: الجوانب الكلامية في تفسير الكشاف

نقصد بالجوانب الكلامية تلك المسائل والأصول التي بنى عليها المعتزلة مذهبهم والتي كان لها الأثر الواضح على تفسير الزمخشري في كتابه الكشاف، إذ ان للعقيدة التي يعتنقها الفرد أثرا في سلوكه وتفسيراته، والمعتزلة في بحوثهم صرفوا الكثير من النصوص القرآنية والحديثية لما يوافق مذهبهم الاعتقادي، كما حاولوا أن يصرفوا كثيرا من التعبيرات من الحقيقة إلى المجاز بوحي هذا المذهب[1] الأمر الذي يستوضح في هذا المبحث بأن نبين مبلغ تأثر تفسير الكشاف بالأصول الخمسة لمذهب المعتزلة، ثم نبين بعض المسائل العقائدية التي لا تعد من أصول المذهب بل أجمعت كل المذاهب على اعتبارها فروع عقائدية وليست أصولا، ونتعرف على موقف الزمخشري أزاءها.

المطلب الأول: أثر الأصول الخمسة عند المعتزلة على تفسير الكشاف

أسست فرقة المعتزلة مذهبها العقائدي على خمسة أصول هي التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ما يلي نشرح هذه الأصول الخمسة ونبين بالأمثلة أثرها على التفسير في كتاب الكشاف.

أولا: أصلي التوحيد والعدل

عرف المعتزلة التوحيد بأنه: العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا على الحد الذي يستحقه، والاقرار به.[2]

ويشترط المعتزلة في التوحيد تحقق شرطي العلم والاقرار، قال القاضي عبد الجبار[3]:« ولابد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعا، لأنه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحدا».[4]

والتوحيد عند المعتزلة يقتضي القول بأن الله تعالى واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، وايس بذي جهات، ولا يحيط به المكان، ولا يجري

---

1 فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، مرجع سابق، ص 209.

2 القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تح عبد الكريم عثمان، الطبعة الاولى، 1965م مطبعة مكتبة وهبة، القاهرة مصر، ص 128.

3 هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن الهمذاني، من كبار فقهاء الشافعية، معتزلي العقيدة، ولي قضاء القضاة بالري اختلف في تاريخ مولده، مات في ذي القعدة سنة 405هـ وقد بلغ التسعين، من مصنفاته: شرح الاصول الخمسة، انظر سير أعلام النبلاء، د ط 1422هـ، مؤسسة الرسالة، 245/17، طبقات الشافعية للأسنوي 61/2، وانظر عبد الكريم عثمان، القاضي عبد الجبار، حياته ومؤلفاته، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ط1، 1970م، بيروت، لبنان.

4 شرح الاصول الخمسة، ص 128.

عليه الزمان، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود ولا تحيط به الاقدار، ولا تحجبه الاستار، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات، موجودا قبل المخلوقات، تقدس عن ملامسة النساء، وعن اتخاذ الصاحبة، والابناء، ولم يزل عالما قادرا حيا، وأنه القديم وحده، ولا قديم غيره، ولا إله سواه، ولا شريك له في ملكه، ولا يجوز عليه الفناء، ولا يلحقه العجز والنقص.[1]

ومذهبهم في التوحيد جاء ردا على مذهب المشبهة والمجسمة الذين يقولون بأن الله تعالى جسم له جوارح وأعضاء كبقية المخلوقات وأنه تعالى تجوز رؤيته في الدنيا والآخرة[2]، لكن المعتزلة غالوا في نظرتهم إلى التوحيد فنفوا الصفات عن الله تعالى، وبالغوا في منح العقل قدرة لا حدود لها في تأويل آيات الصفات، وردوا الكثير منها إلى المجاز بما يخدم مذهبهم الاعتقادي، فكل ما يبدو مناقضا لاعتقادهم أَوَّلوه بحسب ما ينسجم مع الاصل المحكم الذي دل عليه العقل[3]، لأن دَالَّةَ العقل هي القادرة على تمييز الحقيقة من المجاز ومن ثم تمييز دلالة الكلام الذي لا يمكن ادراك فحواه إلا إذا تقدم ذلك معرفة بالله تعالى[4] فالعلم بالله تعالى ووحدانيته وعدله يأتي أولا ثم يليه إدراك معاني القرآن الكريم، ومن هنا يصبح تأويل الآيات التي يستدل بها على الله تعالى ووحدانيته ضرورة عقائدية وليست مجرد ضرورة لغوية.[5]

ـ هذه التأويلات الخاطئة لآيات الصفات بدت واضحة في كتب التفسير المعتزلية ومن ابرزها كتاب الكشاف للزمخشري، وكان من نتائج نفي الصفات عند المعتزلة وتأويل الآيات الواردة فيها أن جاؤوا إلى القضايا الفرعية في العقيدة فأولوها بما يتفق مع فهمهم للتوحيد؛ ومنها قضية رؤية الله تعالى، وقضية صفة الكلام، وقضية خلق القرآن، ومن الأمثلة على تأويل الزمخشري آيات التوحيد والصفات بما يوافق مذهب الاعتقادي في هذا الاصل وهو التوحيد، تأويله قول الله تعالى:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ*إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[6].

---

1 أبو علي الحسن بن اسماعيل الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ط1 1415هـ ـ 1994م، دار الحكمة، دمشق سوريا، ص 65.

2 القاضي عماد الدين ابو الحسن عبد الجبار بن أحمد، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق ومباينتهم اسائر المخالفين، فؤاد سيّد دط،1393هـ/1974م، الدار التونسية للنشر، ص346.

3 هيثم محمد ابراهيم سرحان، التأويل الدلالي عند المعتزلة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف نهاد ياسين الموسى، تاريخ المناقشة 2002/08/19م، ص 151.

4 المرجع نفسه، ص 152.

5 هيثم محمد ابراهيم سرحان، التأويل الدلالي عند المعتزلة، مرجع سابق، ص 154.

6 آل عمران 18،19.

قال الزمخشري: « والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله فإن قلت ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرىء (أنه) بالفتح و(إن الدين) بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه، وقوله:(إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستانفة مؤكدة للجملة الأولى، فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت :فائدته ان قوله(لا إله إلا هو) توحيد وقوله:(قائما بالقسط) تعديل فإذا أردفه قوله: (إن الدين عند الله الإسلام) فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي اليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئ مفتوحين على ان الثاني بدل من الأول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل».[1]

ـ نلاحظ على هذا النص أن الزمخشري تأول القراءات المختلفة للآية الواحدة بما يوافق مذهبه الاعتقادي وهو أن الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس هو الدين القائم على أصلي التوحيد والعدل وهو مفهوم الإسلام عند المعتزلة، الذين سموا أنفسهم أهل التوحيد.

لقد رد الشيخ المرزوقي[2] على هذا التعصب الذي حصر التوحيد على مذهب المعتزلة قائلا: « فقد آذن الله ان الإسلام هو العدل تعسف لا يقتضيه النظم الكريم، لكن دعا إليه التعصب وبالجملة فالعدل والتوحيد لم ينحصرا في مذهب المعتزلة»[3].

ثانيا: المنزلة بين المنزلتين

قال القاضي عبد الجبار في تعريف اصل المنزلة بين المنزلتين: « والأصل في ذلك ان هذه العبارة إنما تستخدم في شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما شبهه، هذا في أصل اللغة، وأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين.....لا يكون اسمه اسم الكافر ولا اسمه اسم مؤمن، وإنما يسمى فاسقا، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له

1 الكشاف.340/1.

2 محمد عليان المرزوقي، ولد في بلدة كفر غالي (مركز منيا القمح، محافظة الشرقية، جمهورية مصر)، وتوفي في القاهرة سنة 1936م، عاش في مصر، من مؤلفاته: خلاصة مايرام من علم الكلام، وهو مطبوع بمطبعة الرغائب القاهرة، وكتاب الؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم، وهو مطبوع بالمطبعة الحسينية بالقاهرة، وله حاشية على تفسير الكشاف، ومشهاد الانصاف على مشاهد الكشاف، انظر ترجمته في: زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، ط2، 1994،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2/ 394 ، وانظر خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، 2002م، دار العلم للملايين، بيروت، 310/6.

3 حاشية المرزوقي على الكشاف، 339/1.

حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما»[1] وذلك لأن الفاسق ـ في نظر المعتزلة ـ يشبه المؤمن في اعتقاده ولا يشبهه في عمله، وهو على النقيض من ذلك في مشابهة الكافر، هذا حكمه في الدنيا أما حكمه في الاخرة فإنه يخلد في عذاب اخف من عذاب الكافر.[2]

لقد كان هذا الاصل سببا للخلاف بين الحسن البصري[3] وواصل بن عطاء[4] الذي تنسب إليه فرقة المعتزلة، وهو أول من قال بهذا الاصل.[5]

أما عن تجليات هذا الاصل في تفسير الزمخشري فأمثلته كثيرة، لكن نكتفي بذكر مثال واحد منها، وهو تأويل الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[6].

قال الزمخشري: « (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصي، وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر ، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم، أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها (يسيرا) أي لا صارف له عنه »[7].

وهذا التأويل من الزمخشري إقرار بمذهب المعتزلة في مصير مرتكب الكبيرة يوم القيامة، فيصبح تقدير الآية الكريمة ـ وفق هذا الفهم ـ إن الذين كفروا، والذين ظلموا، لم يكن لله ليغفر لهم.

---

1 شرح الاصول الخمسة، ص 697.

2 ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح محمد سيد كيلاني، ط3، سنة 1993م، دار المعرفة، بيروت،52/1.

3 هو الحسن بن ابي الحسن بن يسار، ابو سعيد، تابعي جليل، ولد سنة 21هـ وتوفي سنة 110هـ، انظر ترجمته مفصلة، وسيرته وأخباره في كتاب آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، تأليف الامام جمال الدين ابي الفرج ابن الجوزي، تحقيق سليمان الحرش،ط3، 1429هـ ـ 2008م دار النوادر، دمشق، سوريا، وانظر سير أعلام النبلاء، 563/4، وطبقات ابن سعد 156/7.

4 هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، رئيس المعتزلة ولد بالمدينة سنة 80هـ وتوفي سنة 181هـ، ذكره القاضي عبد الجبار، على رأس الطبقة الرابعة من طبقات المعتزلة، انظر ترجمته وبعض أخباره في كتاب: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق فؤاد سيّد، دط،دت، الدار التونسية للنشر، الصفحات، 64، 234 وما بعدها، وانظر وفيات الاعيان 170/2، تاريخ الاسلام للذهبي 310/5.

5 فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص 235.

6 النساء 168.

7 الكشاف 580/1.

ثالثا: الوعد والوعيد

ـ مفهوم الوعد عند المعتزلة، هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى غيره أو دفع ضرر عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا، وبين أن لا يكون كذلك، مثاله أن الله تعالى وعد المطيعين والمحسنين بالثواب، كما أنه تعالى وعدهم بالتفضل عليهم مع أن التفضل ليس مستحقا.

ـ أما مفهوم الوعيد عند المعتزلة، فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى غيره أو تفويت نفع عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا، وبين أن لا يكون كذلك.[1]

ومن أحسن ما قيل في شرح هذا الاصل اختصارا، ما قاله الامام الشهرستاني[2]:« واتفقوا على ان المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب، والعوض والتفضيل، ومعنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا».[3]

ـ وبناء على هذا الأصل فقد قالت المعتزلة بأن المعاصي التي يرتكبها الناس تنقسم إلى صغيرة وكبيرة وقالوا ان الكبيرة هي التي ورد في شأنها الوعيد، وأن من الكبائر ما يصل إلى حد الكفر، فمن شبه الله تعالى بخلقه أو اتهمه في حكمه بالجور، أو كذب خبره فقد كفر.[4]

ـ أيضا وبناء على هذا الأصل قالت المعتزلة بأن على الله تعالى أن ينجز وعده ووعيده، وأن قبول التوبة واجب على الله تعالى، وهذا مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة في أنه لا يستوجب على الله تعالى شيء.[5]

ـ وقد برز هذا الاصل بوضوح في تفسير الكشاف خاصة في قضية وجوب قبول التوبة على الله تعالى وذلك في تأويله قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا** ﴾[6] قال الزمخشري:« (التوبة) من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له، يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) في موضع الحال أي

---

1 شرح الأصول الخمسة، ص 134.

2 هو محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ولد بشهرستان، وإليها ينسب، وكنيته ابو الفتح، ولقبه تاج الدين، اختلف في تاريخ مولده بين 467هـ و 469هـ و479هـ ، واختلف ايضا في تاريخ وفاته بين 548هـ، و 549هـ، قال ابن خلكان :«كان متكلما على مذهب الاشعري» من مؤلفاته نهاية الاقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، وكتاب مصارعة الفلاسفة، الذي طبع بتحقيق الدكتورة سهير محمد مختار،نظر ترجمته في سير أعلام النبلاء 286/20، معجم البلدن 377/3، وفيات الاعيان 273/4، طبقات الشافعية للأسنوي 106/2.

3 الملل والنحل 39/1، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص 350.

4 مقالات الاسلاميين، ص 155.

5 فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص 350.

6 النساء 17.

يعملون السوء جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل»[1].

رابعا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا هو الاصل الخامس من أصول عقيدة المعتزلة، وهو أمر يشترك فيه جميع المسلمين، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] ومعنى هذا الاصل عند المتعزلة على النحو التالي:

- الأمر عندهم هو قول القائل لمن هو دونه في الرتبة(افعل).
- النهي عندهم هو قول القائل لمن هو دونه(لا تفعل).
- المعروف عندهم هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دُلَّ عليه.
- المنكر عندهم هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دُلَّ عليه.[3]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة من فروض الكفايات[4] كذلك قال الزمخشري في تفسيره[5]، في تأويل قوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[6] قال: « فإن قلتَ من: فمن يباشر قلتُ: كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه »[7].

1 الكشاف488/1.
2 آل عمران 104.
3 شرح الاصول الخمسة 148.
4 الملل والنحل 49/1.
5 الكشاف 388/1.
6 الحجرات 9.
7 الكشاف 390/1.

المطلب الثاني: المسائل العقدية الفرعية في تفسير الكشاف

المسائل العقدية الفرعية هي مسائل ليست من الاصول الخمسة لكنها متفرعة عنها، وفي ما يلي نذكر أمثلة لها من تفسير الكشاف ونبين الاصل الذي تفرعت عنه.

أولا: مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة

وهذه المسألة فرع عن الأصل الأول وهو التوحيد، ومرد ذلك إلى علاقتها بصفات الله تعالى التي نفاها المعتزلة، وبناء على هذا المعتقد فإنهم نفوا رؤية الله تعالى في الآخرة، قال القاضي عبد الجبار: « فأما أهل العدل بأسرهم، والزيدية، والخوارج، وأكثر المرجئة، فإنهم قالوا: لا يجوز أن يُرى الله سبحانه وتعالى بالبصر، ولا يُدرك به على وجه لا لحجاب ومانع، ولكن لأن ذلك يستحيل »[1] وهم يعدون مجرد الاعتقاد برؤيته خروج عن التوحيد الإلهي، لأن الله تعالى ليس جسما ولا عرضا ولا جوهرا، فلا يتصور توجه النظر إليه، فهو ليس متحيزا في جهة ولا مكان، وبنفيهم الجسمية عن الله تعالى تنتفي الجهة وبذلك تنتفي الرؤية ويستدل الزمخشري على نفي الرؤية بتأول معان لآيات من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2] فهو- غفر الله له - يفسر الادراك في هذه الآية بمعنى الاحاطة ويستدل على هذا التأويل بقول الله تعالى:﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3] أي أحاط به، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[4].

- وعلى هذا حمل الزمخشري كل الايات الدالة على رؤية الله تعالى، لذلك نجده يطيل الكلام في تقرير هذا المذهب حين جاء إلى قوله تعالى لموسى - عليه السلام - حين طلب رؤيته عز وجل:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾[5] ويتفنن في مراوغاته اللغوية لتأكيد نفي رؤية المؤمنين الله تعالى في الآخرة.

ثانيا: مسألة تنزيه الله سبحابه وتعالى عن خلق الشر

وهذه مسألة متفرعة عن الأصل الثاني من أصول معتقد المعتزلة وهو العدل، إذ يرى المعتزلة أن الله عز وجل منزه عن خلق الشر والظلم والجور، وقد عمد الزمخشري الى تأويل الكثير من الآيات بما يوافق هذا

1 شرح الأصول الخمسة، ص 232.
2 الأنعام 103.
3 يونس 90.
4 الشعراء 61.
5 الأعراف 143.

المعتقد، منها قوله تعالى:﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[1] قال الزمخشري: « من شر خلقه، وشرهم: ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم، مضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل، وضرب وشتم وغير ذلك»[2] فيصبح تفسير الآية الكريمة: من شر مخلوقات الله؛ أي من الشر الذي يصدر عن مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الزمخشري جعل (ما) في الآية مصدرية لا موصولة بمعنى الذي، وذلك حتى ينفي الفعل القبيح عن الله تعالى لأنه تعالى لا يفعل إلا الأصلح.[3]

واستناد إلى قاعدة ان الرب سبخانه وتعالى منزه عن الشر والظلم والجور، وغيرها من ارادة المعصية والكفر لعباده، صرف الزمخشري الآيات التي فها اسناد الاضلال والاغواء إلى الله تعالى ونحو ذلك إلى المجاز وعمد إلى التأويل،[4] ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾[5] قال الزمخشري: « فإن قلتَ فلم أسند الختم إلى الله تعالى واسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه؟ قلتُ القصد من صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها واما اسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ... ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة».[6]

ثالثا: مسألة أن الايمان لا ينفع من غير عمل صالح

وهي مسألة متفرعة عن الأصل الثالث وهو المنزلة بين المنزلتين، إذ نجد الزمخشري يتأول قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[7] قال الزمخشري: « فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الايمان، وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرا، ليُعلم أن قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وغيرها جمع بين قرينتين، لا ينبغي ان تنفك إحداهما عن الاخرى، حتى يفوز صاحبها ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك.»[8]

فالزمخشري يساوي بين الكافر الذي آمن حين رآى ايات الله تعالى وبين المؤمن الذي لم يعمل خيرا قبل

---

1 الفلق 02.

2 الكشاف 815/4.

3 فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص346.

4 فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، مرجع سابق، ص 201.

5 البقرة 07

6 الكشاف 121/1.

7 الانعام 158.

8 الكشاف 78/2.

ظهور اشراط الساعة الكبرى.

رابعا: مسألة لا شفاعة للعصاة يوم القيامة

وهذه المسألة متفرعة عن الأصل الرابع وهو الوعد والوعيد، فنجد أن الزمخشري تأول قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[1] أن (يوما) موصوف وما بعده كلها أوصاف له وأن الشفاعة منفية عن العصاة في ذلك اليوم.[2]

خامسا: مسألة حد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذه المسألة متفرعة عن الاصل الخامس وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يطل الزمخشري الكلام عنها في تفسيره بل اكتفى بذكر حكمها وهو أنها من فروض الكفايات، وانه يقوم بها كل مؤمن حسب طاقته، وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[3]حيث اكتفى الزمخشري بذكر سبب نزول الآية، وذكر حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه من فروض الكفايات وحده بقدر القدرة البشرية، وأن النهي عن المنكر يبتدأ فيه بالأيسر وهو الانكار باللسان، فأصعب منه وهو الانكار باليد، أما الانكار بالسلاح فهو خاص بولات الأمور لأنهم الأدرى بشؤون السياسة[4]، وهو أمر مجمع عليه عند أغلب الفرق الإسلامية.

1 البقرة 48.

2 الكشاف 138/1.

3 الحجرات 9.

4 الكشاف 390/4.

المبحث الثاني: منزلة الاستعارة بين الصور البيانية في الكشاف

بعد أن تعرفنا في الفصل الأول على مفهوم الاستعارة عند بعض المتكلمين من فرقتي الأشاعرة والمعتزلة، وتعرضنا في بداية هذا الفصل إلى أثر الأصول الاعتقادية للمعتزلة على تفسير الزمخشري نشرع في هذا المبحث في دراسة موقع الاستعارة من كتاب الكشاف، منطلقين من تعريف الاستعارة وتحديد أركانها في الكشاف، ثم معرفة الأمور أو أركان الكلام التي ترد عليها الاستعارة، وأخيرا ذكر أنواع الاستعارات الواردة في كتاب الكشاف مع التمثيل لكل نوع منها، وهذه العناصر الثلاثة نتناولها مرتبة في المطالب الثلاثة التالية.

المطلب الأول: تعريف الاستعارة وبيان أركانها والتعبير عنها في الكشاف

الاستعارة من المباحث البلاغية التي تناولها كل البلاغيين بالدراسة، والتي كانت حاضرة في كل تفسير من تفاسير القرآن الكريم خاصة عند المعتزلة، الذين تشبثوا بالمجاز في تأويل الكثير من آيات القرآن وعلى رأسها تفسير الكشاف، وعلى هذا فقد احتلت الاستعارة مكانة بارزة في تأويل الزمخشري للنصوص القرآنية بما يوافق معتقده الاعتزالي. وسنرى في هذا المطلب كيف عرف الزمخشري الاستعارة، وما هي أركانها، وما هي المصطلحات التي استخدمها الزمخشري للتعبير عن الاستعارة في تفسيره؟.

أولا: تعريف الاستعارة عند الزمخشري وبيان اركانها

لقد عرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله: «الاستعارة ات تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»[1] وهذا التعريف يجعل الاستعارة مجازا لغويا وأنها ضرب من التشبيه، وعلى حد تعبير عبد القاهر في موضع آخر قال : «التشبيه كالاصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره».[2]

وقريبا من هذا التعريف عرف الرازي الاستعارة بقوله: «الاستعارة عبارة عن جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه».[3]

أما السكاكي فقد جمع بين التعريفين السابقين وعرف الاستعارة بقوله: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه

1 دلائل الاعجاز ص 53.

2 اسرار البلاغة ص: 28.

3 نهاية الايجاز ص 82.

وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[1] وهذا التعريف ينطبق على الاستعارتين التصريحية والمكنية.

كذلك يرى القاضي الجرجاني[2] الذي أشار إلى الفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ حيث اشترط في الاستعارة الاقتصار على الاسم المستعار عن الاصل وهو المشبه به، أما التشبيه البليغ فقد اشترط فيه ذكر طرفيه.[3]

ـ وأيضا كان للزمخشري ذات الشرط في التمييز بين الاستعارة والتشبيه البليغ، ففي نص له يتكلم فيه عن الاستعارة التصريحية وإن لم يسمها بذات الممصطلح قال: « والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلوا عنه، صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام »[4] وهذا التعريف يتفق مت تعريف السكاكي للاستعارة.

ـ كذلك عند الزمخشري فإن من شروط الاستعارة أن تدل أحوال الكلام وقرائنه على طرف التشبيه المحذوف سواء كان المشبه أو المشبه به.

ثانيا: تعبير الزمخشري عن مصطلح الاستعارة في كشافه

استعمل الزمخشري في كشافه عدة مصطلحات للتعبير عن الاستعارة، يفهم منها أنها مرادفة لمصطلح الاستعارة عند البلاغيين.

1 ـ مصطلح التشبيه

استعمل الزمخشري مصطلح التشبيه في مواضع كثيرة من تفسيره، وهو يقصد الاستعارة بمعناها الاصطلاحي، ومرد ذلك أن الاستعارة تقوم على علاقة المشابهة، من ذلك مثلا في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾[5] قال الزمخشري : « شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق ذو سرادق، وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل حائط من نار يُطيف بهم »[6] وفي تفسير قوله تعالى:

---

1 أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، 1407هـ/1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 369.

2 هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ولد سنة 322هـ وتوفي سنه 392هـ ، عده القاضي عبد الجبار الجرجاني في الطبقة الحادية عشر من طبقات المعتزلة، انظر طبقات المعتزلة وفضل الاعتزال ص 380، من مصنفاته كتاب في النقد الأدبي عنوانه الوساطة بين المتنبي وخصومه انظر، سير أعلام النبلاء 250/17، طبقات الشافعية 302/2، وفيات الاعيان 403/1.

3 عبد الجليل مصطفاوي، صور البيان في تفسير الزمخشري، اشراف الزبير دراقي، اطروحة دكتوراه، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية آدابها، سنة التسجيل 1422هـ/2008م، ص 104.

4 البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص412.

5 الكهف29.

6 الكشاف 388/2.

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [2] فقد شبهت بالرجس لتكون النفرة منها أشد من النفرة من الرجس."[3] وفي تفسير قوله تعالى ﴿:إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾[4] قال الزمخشري : « شبهوا بالموتى وهم أحياء، صحاح الحواس...وشبهوا بالصم حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ولا ان يجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل.»[5]

2 ــ مصطلح المجاز

وأحيانا يعبر الزمخشري عن الاستعارة بلفظ " مجازا أو على سبيل المجاز" ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا أَنْ كُنْتُمْ قَوْما فَاسِقِين﴾[6] قال الزمخشري: « بمعنى؛ أفننحي الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز»[7] وفيها تشبيه الذكر بالغرائب من الإبل التي تُذَادُ عن الماء وتمنع من شربه.

3 ــ مصطلح التخييل

وأحيانا يعبر الزمخشري عن الاستعارة بلفظ " التخييل" ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[8] قال الزمحشري: « سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل، الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته»[9].

ـ ومنه نخلص إلى أن الزمخشري يتفق مع ما قرره البلاغيون وعلى رأسهم القاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني في أن الاستعارة ما اكتفي فيه بذكر أحد طرفي التشبيه، تمييزا لها عن التشبيه البليغ، وأنه عبر عنها تارة بالاستعارة وتارة أخرى بالتشبيه وتارة بالمجاز، وهو يقصد الاستعارة بمفهومها الاصطلاحي، فهذه ثلاث أسماء معناها واحد وهو الاستعارة بالمعنى الاصطلاحي، ويستنتج ذلك من شرحه وتفسير للآيات التي وردت فيها استعارات.

---

1 الحج 30.
2 المائدة 90.
3 الكشاف 31/3.
4 النمل 80.
5 الكشاف 152/3.
6 الزخرف05.
7 الكشاف 241/4.
8 ق 30.
9 الكشاف 09/4.

المطلب الثاني: أركان الكلام التي ترد عليها الاستعارة

إن الدارس لكتاب الكشاف إذا تتبع مواطن ذكر الاستعارة فيه يجد أن الزمخشري يجيز مجيء الاستعارة على الاسماء والأفعال والحروف[1]، وفي ما ياتي نضرب أمثلة لذلك من تفسير الكشاف.

أولا: استعارة الأسماء

وقد سماها عنها الزمخشري استعارة الالفاظ، وقال أن منها ما يكون له فائدة في تقوية المعنى، ومنها ما لا يكون له ذلك مثل استعارة أسماء أعضاء الجسم، فقد يكون للعضو الواحد أسماء كثيرة، تختلف من حيوان إلى آخر، وهي تدل على عضو واحد، مثل الشفة عند الانسان والمشفر عند البعير و الجحلفة عند الفرس فإذا استعرنا لفظا مكان لفظ للدلالة على ذات العضو فذلك لن يفيد في تقوية المعنى وحسن بيانه، قال الزمخشري في تفسير قول الله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِير** ﴾[2] قال الزمخشري: « فإن قلت لم سُمِّي الزحف على البطن مشيا؟ قلتُ: على سبيل الاستعارة، كما قالوا في الامر المستمر قد مشى الامر، ويقال فلان لا يمشي له أمر، ونحوه استعارة الشفة مكان الجحلفة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك، أو على سبيل المشاكلة كذكر الزاحف مع الماشي. »[3] وهو يقصد المشابهة في الهيئة أو التحرك من مكان إلى مكان، أما قوله:" استعارة الشفة مكان الجحلفة " فالمقصود به استعارة بالمعنى اللغوي وليست الاستعارة بالمعنى الاصطلاحي عند أهل البلاغة.

ـ واستعارة الاسم قد يصحبها استعارة معناه كما في المثال السابق، وقد لا يصحبها استعارة المعنى الاصلي للفظ مثل استعارة الطلع وهو للنخل لشجرة الزقوم فلا يراد به المعنى الاصلي للطلع بل هو استعارة اللفظ فقط[4]، قال تعالى: ﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ** ﴾[5] وهو استعارة للفظ الطلع دون قصد معناه.

ـ وقد تقع الاستعارة على المعنى ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿ **وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا**﴾[6] قال الزمخشري:

---

1 والمقصود هنا المعنى اللغوي المأخوذ من مادة (ع و ر) وليس المعنى الاصطلاحي المعروف عند البلاغيين وهو أن الاستعارة تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه.

2 النور 45.

3 الكشاف 80/3.

4 صور البيان في تفسير الزمخشري، ص 127.

5 الصافات 65.

6 آل عمران 125.

« من فورهم هو مصدر من فارت القدر إذا غلت، فاستعير للسرعة، سميت به الحالة التي لا ريث فيها»[1] فلفظة الفور في هذه الآية اكتسبت معنى جديد واستقرت على معنى السرعة.[2]

ثانيا: استعارة الحروف

باب استعارة الحروف أو تعاور الحروف لمواقعها، باب عظيم الشأن في تفسير الزمخشري، والمقصود به استعارة حرف مكان حرف، وهو استعارة بالمعنى اللغوي وليس المعنى الاصطلاحي المعروف عند البلاغيين، وهذا الباب لا يدخل في صلب بحثنا لكنا آثرنا التنبيه عليه كي لا يشكل على القارئ مفهوم الاستعارة وبيان أركانها في مثل هذه المواضع، لأن الزمخشري سماه استعارة، مثال ذلك في تأويل قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[3] قال الزمخشري :« وجعلت السفاهة طرفا على طريق المجاز، وأرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها »[4].

ـ ويزخر كتاب الكشاف بأمثلة كثيرة ومناقشات بلاغية طويلة في مسالة تعاور الحروف، فمن ذلك مثلا مسألة (لام) التعليل كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾[5] قال الزمخشري : « ولكن معنى التعليل فيها ـ اللام ـ وارد على طريق المجاز لا الحقيقة، ولكن المحبة والتبني، غير أن ذلك كان نتيجة التقاطهم له وثمرتة، شُبِّهَ بالداعي الذي يُفْعَلُ الفعل لاجله... وتحريرها ان هذه اللام حكمها حكم الاسد، حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد ».[6]

ـ وقد تتبع الزمخشري في كشافه مواضع لام التعليل بالشرح والتفصيل كذلك فعل مع الكثير من الحروف مثل (ثم) و(لعل) فحرف (ثم) يفيد التراخي في الوقت وقد استعير للدلالة على التراخي في الاحوال كما في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[7] قال الزمخشري:« ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال، والمعنى أن لكم فيها الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يتعبد الله بالمنافع الدينية».[8]

---

1 الكشاف 215/1.
2 صور البيان 127.
3 الاعراف 66.
4 الكشاف 69/2.
5 القصص 8
6 الكشاف 157/3.
7 الحج 33.
8 الكشاف 33/3.

المطلب الثالث: انواع الاستعارات الواردة في تفسير الكشاف

ذكر الزمخشري في كشافه كثيرا من أنواع الاستعارة بالمعنى الاصطلاحي المعروف عند أهل البلاغة وأكثر هذه الانواع ورودا في الكشاف، الاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية، والاستعارة الاصلية والاستعارة التبعية، وفي ما ياتي نعرض أمثلة لكل نوع منها مع شرحها وبيان أركانها.

أولا: الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أو هي كما قال السكاكي[1]: « أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به».[2]

ـ وردت في كشاف الزمخشري أمثلة كثيرة للاستعارة التصريحية بالمفهوم الذي بيناه، وما يمكن أن نلحظه على مناقشات الزمخشري وتفسيره لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها الاستعارة التصريحية أن الزمخشري لم يسمها بهذا المصطلح، بل يفهم نوعها من مضمون كلامه، لأنه لم يعن بتقرير القواعد البلاغية في تفسيره وإنما كانت عنايته بكشف أسرار القرآن الكريم وبيان حسن نظمه.[3]

ـ ومن أمثلة الاستعارات التصريحية في تفسير الكشاف، ما ورد في تفسير قول الله تعالى:﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين** ﴾[4] قال الزمخشري: « معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه، واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ الآخر... فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى، وما كانوا على هدى؟ قلت : جُعِلوا لتمكنهم منه، واعراضه لهم كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به».[5]

ـ ومن أمثلتها أيضا، في تفسير قوله تعالى:﴿ **تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا** ﴾[6] قال الزمخشري: « نُورِثُ: وقُرِئ نُوَرِّثُ استعارة، أي نُبْقي عليه الجنة كما نُبْقي على الوارث مال الموروث، ولأن الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم، وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا ادخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يُورَّثُ الوارث مال المتوفى».[7]

---

1 هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على السكاكي، ولد في خوارزم سنة 555هـ ، توفي سنة 626هـ، حنفي المذهب، معتزلي المعتقد، فقد قال هو بنفسه في كتابه مفتاح العلوم « التوحيد والعدل مذهبنا» من اشهر مؤلفاته كتاب مفتاح العلوم، طبع بتحقيق نعيم زرزور، بدار الكتب العلمية سنة 1983م، انظر ترجمته في معجم الادباء 59/20، شذرات الذهب 122/5.

2 مفتاح العلوم، ص 383.

3 صور البيان في تفسير الكشاف، ص 111.

4 البقرة 16.

5 الكشاف 36/1.

6 مريم 63.

7 الكشاف 416/2.

ـ في الأمثلة السالف ذكرها تصريح بالمشبه فهي استعارة تصريحية.

ثانيا: الاستعارة المكنية

وتسمى المكنى عنها او الاستعارة بالكناية، وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه.[1]

كقول أبي ذؤيب الهذلي[2] من بحر الكامل:

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[3]

شبه المنية بالسبع في افتراس الارواح، فحذف المشبه به أبقى لازما من لوازمه يدل عليه وهي الاظفار التي لا يكون الافتراس بدونها.

ـ وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: «أن يؤخذ الاسم من حقيقته ويوضع موضعا لا يبين فيه شيئ يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه ونائبا منابه»[4].

والى هذا ذهب الكثير من البلاغيين أمثال الرازي الذي ميز بينها وبين الاستعارة التصريحية بقوله: « هذا اذا لم يصرح بذكر المستعار بل ذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه»[5].

ـ أما في كتاب الكشاف للزمخشري فإن الناظر فيه يرى تردد ذكر هذا النوع من الاستعارة، وإن كان الزمخشري لم يسمها بهذا المصطلح[6]، بل اكتفي بايراد صورتها وأركانها في ما يشبه التعريف، حيث قال: « أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها، لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر، وعلى المرأة بأنها فراش»[7].

ـ ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارة، في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[8] قال الزمخشري:« فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلتُ: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل

---

1 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 145.

2 هو خويلد بن خالد بن محرّث، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في تاريخ وموضع وفاته .انظر ديوان ابي ذؤئيب الهذلي، تحقيق أحمد خيلل الشال،ط1، 1425هـ ـ 2014م، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بور سعيد، مصر، ص 24 وانظر طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، 132/1، والاغاني للأصفهاي 264/6.

3 هذا البيت من قصيدة للشاعر على بحر الكامل ، مطلعها أمن المنون وريبها تتوجع، قالها يرثي أولاده الخمسة الذين فقدهم في عام واحد، انظر ديوان ابي ذؤئيب الهذلي، مرجع سابق، ص 47.

4 اسرار البلاغة،ص 45.

5 نهاية الايجاز، ص 92.

6 صور البيان في تفسير الكشاف، ص 144.

7 الكشاف 58/1.

8 البقرة 27.

الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة: يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا، ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك ».[1]

ففي هذه الاستعارة المكنية اخفاء للمشبه به وهو الحبل وذكر لازم من لوازمه وهو النقض.

ثالثا: الاستعارة الاصلية

الاستعارة الاصلية هي التي تكون في أسماء الاجناس غير المشتقة ويكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا أوليا.[2]

قال السكاكي في تعريفها: « هي أن يكون المستعار اسم جنس، كرجل وأسد، وكقيام وقعود، وكونها اصلية هو ما عرفت أن الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه. »[3]

ومعنى هذا الكلام هو أن يكون المستعار اسم جنس كرجل، فهو غير مشتق، ويكون معنى التشبيه متضمنا في الشيء المستعار سواء كان اسما او صفة، ومن أمثلتها الاستعارة، الواردة في قول البحتري[4]:

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الايوان باد[5]

ففي هذا البيت يشبه البحتري ممدوحه بالقمر في نوره، فأخفى ذكر المشبه واستعار اسم القمر للتعبير عنه وأبقى قرينة تدل على المشبه المحذوف وهي قوله: من الايوان باد، أما وجه الشبه (النور والبهاء والحسن) فهو متضمن في الاسم المستعار (القمر) فهو اذا اصل فيه.

ـ وقد وردت أمثلة كثيرة للاستعارة الأصلية في كتاب الكشاف وإن لم يسمها الزمخشري بهذا المصطلح[6] ففي قول الله تعالى:﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ** ﴾[7] قال الزمخشري: « والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء المعتقد، الغل، والحسد، والميل إلى المعاصي والعزم عليها، واستشعار الهوى، الجبن، والضعف وغير ذلك، مما هو فساد وآفة، شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك».[8]

---

1 الكشاف 58/1.

2 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 145.

3 مفتاح العلوم، ص380.

4 هو الوليد بن عبيد بن يحي الطائي، أبو عبادة البحتري :شاعر كبير، يقال لشعره " سلاسل الذهب." ولد سنة 206هـ، وتوفي سنة 284هـ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل ل أبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له ديوان شعر، وكتاب الحماسة. انظر وفيات الاعيان 16/5، معجم الادباء 251/19، الاغاني 167/18.

5 هذا البيت رقم :23 من قصيدة قالها في مدح الفتح بن خاقان، مطلعها:

أما وهواك حلفة ذي اجتهاد يعد الغنى فيك من الرشاد

انظر ديوان البحتري جمع وتحقيق حسن كمال الصيرفي، مج 2، سلسلة ذخائر العرب، ط 3، دت، دار المعارف، ص 724.

6 صور البيان في تفسير الكشاف ص 120.

7 البقرة 10.

8 الكشاف 32/1.

ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارة في كتاب الكشاف، في تفسير قول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [1] فالظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى، والقرينة على الاستعارة قوله تعالى: (كتاب انزلناه إليك) لان الله تعالى أنزل القرآن لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ولم ينزله لإخراجهم من ليل حقيقي إلى نور حقيقي، والظلمات ظلمات الكفر والجهل[2]، والجامع بينهما عدم الاهتداء والتخبط، أما النور فهو نور الايمان والعلم والجامع بينهما وضوح السبيل واستقامته فهذه استعارة أصلية وهو حيث استعير النور والظلمات وهما اسمان جامدان ووجه الشبه داخل فيهما دخولا أصليا.

رابعا: الاستعارة التبعية

الاستعارة التبعية هي أن لا يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا أوليا وهي التي تقع في اسماء غير الاجناس كالافعال والصفات المشتقة منها والحروف[3]، قال السكاكي: «ما تقع في غير اسماء الاجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف»[4]

وذلك أن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا، لكن الافعال والصفات المشتقة والحروف لا تتحمل الموصوفية، لذلك كانت هذه الاستعارة تبعية وليست أصلية، مثل قولنا: " نطقت الحال " فالحال لا تنطق و إنما استعير الفعل (نطق) لتشبيه الحال بالإنسان الناطق، والنطق ليس أصيلا في (الحال) بل تابع لمعنى التشبيه في الجملة ككل.

ـ وقد وردت أمثلة كثيرة للاستعارة الأصلية في كتاب الكشاف وإن لم يسمها الزمخشري بهذا المصطلح[5] ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[6] قال الزمخشري: « فقد استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام، أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح وبينة، لا عن مخالجة وشبهة حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر اسلام من اسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به»[7].

مثال آخر لهذا النوع من الاستعارة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[8] جعل الزمخشري

---

1 ابراهيم 02.

2 الكشاف، 365/2.

3 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 148.

4 مفتاح العلوم 383.

5 صور البيان في تفسير الزمخشري، ص 121.

6 الأنفال42.

7 الكشاف 128/2.

8 التكوير 18.

التنفس في هذه الاية على سبيل الاستعارة فقال: « إذا اقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسا له على المجاز»[1] فالتنفس هنا مستعار، وحقيقته إذا أقبل الصبح أقبلت معه الحياة الوديعة الهادئة، وقد وردت الاستعارة على فعل ماضي مبني للمعلوم(تنفس) فاستعير هذا الفعل وهو من افعال الانسان والذي ينهض باكرا ويتمطى ليبدأ نهاره دبيبا ثم ينشط بعد ذلك، فأضيف هذا الفعل إلى الصبح لانه هو اصل هذه الحركة.[2]

وفي الاخير نخلص من هذا المبحث إلى تسجيل الملاحظات التالية:

ـ أن الزمخشري في تفسير الكشاف استعمل كلمة الاستعارة بمعناها اللغوي في الكثير من الاحيان للدلالة على استعمال لفظ مكان لفظ، ويظهر ذلك بوضوح اثناء كلامه عن الاستعارة في الحروف وهو ما يُعرف بتعاور الحروف، وهذا الموضوع ليس داخلا في صميم بحثنا لكننا أوردناه ليستبين مقصد الزمخشري من كلمة الاستعارة في مواطن ورودها، لان الاستعارة بمعناها الاصطلاحي عند البلاغيين المتأخرين لا ترد إلا على الصفات والافعال، ولا ترد الحروف.[3]

ـ أن الزمخشري عبر على الاستعارة ـ بالمعنى الاصطلاحي ـ في الكثير من الاحيان بلفظ التشبيه وبلفظ المجاز، ويتضح من خلال شرحه ومناقشاته أنه يقصد الاستعارة لا التشبيه أو المجاز، وحيث ورد هذان اللفظان بهذا المعنى فهو من صميم بحثنا، فليتنبه لهذا الملحظ المهم في التفريق بين استعمالات الزمخشري لكلمة الاستعارة.

ـ وردت الكثير من انواع الاستعارات بمفهومها الاصطلاحي في كتاب الكشاف، وأن أكثر الأنواع ورودا هي الاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية، والاستعارة الاصلية والاستعارة التبعية.

ـ لم يعن الزمخشري بتقسيمات البلاغيين لأنواع الاستعارة، أيضا لم يعن الزمخشري كثيرا بالتصريح بالاسم الاصطلاحي لأنواع الاستعارات التي ذكرها في كشافه.

---

1 الكشاف 224/4.

2 زاهرة توفيق أبو كش، الأوجه البلاغية والدلالية في تفسير الكشاف، اشراف جهاد المجالي، رسالة ماجستير في اللغة العربية تخصص أدب ونقد، جامعة مؤتة، نوقشت بتاريخ 2003/01/07م، ص 83.

3 نفس المرجع ص 81.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الجوانب الكلامية في توجيه محذوف الاستعارة في الكشاف

وسنورد في هذا المبحث ما جاء في كتاب الكشاف من استعارات بنوعيها، وأثر مذهب الزمخشري الاعتزالي في كلامه و تفسيره، ولقد رتبنا النماذج ترتيبا حسب نوع الاستعارة التصريحية، والمكنية، كما سنقوم ببيان وتوضيح نوع الاستعارة بعد تحليلها وأثر المذهب الاعتزالي من خلال محذوف الاستعارة وبيان أثره في تفسير الزمخشري.

لقد جاء في تفسير الزمخشري نماذج من صور الاستعارة التصريحية والمكنية، دون تسمية لها، أو تحديدها إنما تفهم من مضمون الكلام، وتفسيره وهذا منهجه في كتابه، ذلك أن كتابه اعتنى بأسرار التنزيل وحسن بيانه ونظمه، وسنقوم في هذا المبحث الأخير بتحليل هذه الصور وبيان أثر الجوانب الكلامية في محذوف هذه الاستعارات ونبين المسائل الاعتزالية التي وردت فيها، وكيف وجه الزمخشري تفسيره على ضوء ما جاء في حاشية الكشاف لابن المنير المسماة بالانتصاف لابن المنير.

المطلب الأول: في الاستعارة المكنية

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1].

1ـ تحليل الاستعارة:

في هذه الآية الكريمة تشبيه من قبيل الاستعارة حيث يشبه الله تعالى القلب والسمع والبصر بالجماد والشيء الحسي الذي يغشَّى ويختم عليه، والغشاوة أي الغطاء الذي يمنع الضوء أن ينفذ إلى الشيء المغطى، يقول الزمخشري:« كذلك الحق لا ينفذ إلى قلوبهم ولا يخلص إلى ضمائرها، من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها تجتلي آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المستبصرين، كأنما غطي عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك».[2]

فالله تعالى ذكر في هذه الآية المشبه ألا وهو القلب والسمع والبصر وحذف المشبه به وهو الشيء الحسي

1 البقرة 7

2 الكشاف 48/1

الذي يمكن أن تغطيه وتختم عليه، وهذا النوع من الاستعارة يسمى استعارة مكنية لغياب ركن المشبه به.

2 ــ بيان المسألة الاعتزالية، وأثر محذوف ركن الاستعارة:

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: « فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح، والله يتعالى عن فعل القبيح، والله يتعالى علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه.

وقد نص على تنزيه ذاته بقوله: (وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)، (وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)، (إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ) ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟ قلت: القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها. وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل، فلينبه على أنّ هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي...».[1]

قال ابن المنير: « هذه أول عشواء خبطها، في مهواة من الأهواء هبطها، حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله، ابتغاء الفتنة، استبقاء لما كتب عليه من المحنة، فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها و أردها، مخالفة دليل النقل المضاهي لدليل العقل كأمثال قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ** ﴾[2] ﴿هل من خالق غير الله﴾[3] وهذه الآية أيضا فإن الختم فيها منسد إلى الله تعالى نصا والزمخشري ـ رحمه الله ـ لا يأبى لذلك، ولكنه يدعى الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده، فإذا أثبت أن الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه، وجب عليه إبقاؤها على ظاهرها، بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهرا لوجب تأويلها بالدليل جمعا بين العقل و النقل»[4].

ففي هذا المثال ينفي الزمخشري نسبة الختم إلى الله ويؤول ذلك ويرده إلى طبيعة صفة القلب والسمع والبصر التي لها نفس مواصفات المشبه به في هذه الاستعارة التي هي كالشيء الحسي، حيث يقول:« القصد في صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها» وهذا على خلاف معتقد أهل السنة و الجماعة حيث يقول القرطبي:« إجماع الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال تعالى: ﴿ **بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾.»"[5] "[6] وهذا تحت أصل التوحيد والعدل و نفي الصفات عن الله تعالى.

---

1 الكشاف، 49/1، 50

2 الزمر 62

3 فاطر 3

4 إبن المنير، الانتصاف، 50/1

5 النساء 155

6 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 186/1

الآية الثانية :

قال تعالى:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِين ﴾.[1]

1ـ تحليل الاستعارة :

وفي هذه الآية استعارة، يقول الزمخشري:« جعل للغيب مفاتح على سبيل الاستعارة»[2] حيث يشبه الله تعالى الغيب بالصندوق أو المخازن الذي يفتح بالمفتاح فالمشبه هنا هو الغيب والمشبه به هو الصندوق أو المخازن وهذه استعارة مكنية حذف فيها عنصر المشبه به.

2ـ بيان المسألة الاعتزالية وأثر محذوف ركن الاستعارة :

يقول الزمخشري: « جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة، لأن المفتاح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلال و الأقفال، ومن علم مفاتحها و كيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره.. ».[3]

قال ابن المنير:« إطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا، فإنه يوهم تجدد الوصول بعد تباعد إذ قول القائل: توصل زيد إلى كذا؛ يفهم أنه وصل بعد تكلف وبعد، والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه، و العلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف، وليس لنا أن نطلق هذا الإطلاق إلا عن ثبت، و الله الموفق».[4]

في هذه الآية يشبه الزمخشري الغيب بالخزائن التي تفتح بعد عناء حيث يذكر كلمة "يتوصل" وتشبيهه الغيب بالخزائن المغلقة – وهو المشبه به المحذوف – أثر على تأويله ونسب التوصل وما فيه من مشقة إلى الله وتعالى جل شأنه على ذلك.

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾.[5]

1 ــ تحليل الاستعارة:

يقول الزمخشري: « كأن بعضها يرى بعضها على سبيل المجاز، والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها، وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر، ويجوز أن يراد، إذا رأتهم

1 الأنعام 59

2 الكشاف، 32/2

3 المصدر السابق، 31/2

4 الإنتصاف، 304/2

5 الفرقان 12

زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم».[1]

على رأي الزمخشري هناك استعارة حيث شبه الله تعالى النار بالمخلوق الذي يمتلك حاسة البصر ويستطيع أن يرى ويتغيظ ويزفر، فالمشبه في هذه الآية يتضح فيما يدل عليه وهو (رأتهم) وهي جهنم، والمشبه به محذوف يتمثل في المخلوق المبصر، وهذه استعارة مكنية حذف فيها ركن المشبه به.

2 ـ بيان المسألة الاعتزالية وأثر محذوف ركن الاستعارة :

قال ابن المنير:« لا حاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة ، وقدرة الله صالحة، وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكا حسيا و عقليا، ألا ترى إلى قوله :(سمعوا لها تغيظا) ، وإلى قولها :(هل من مزيد)[2] ، وإلى اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نفسين[3] إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها، إذ لا محوج إليه، ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد، لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة والتحيز إلى فرقة الفلاسفة، فالحق أنا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع، و الله أعلم"[4]؛ فالزمخشري عندما لجأ إلى تشبيه جهنم بالكائن الذي يبصر ويحس، ذهب إلى الاستعارة و حاد عن الصواب ونفى قدرة الله في أن يخلق الله تعالى للنار حواس متعلقة بها تشبه حواس المخلوقات من سمع وتغيض وزفير، وهذا خلاف معتقد أهل السنة والجماعة في قدرة الله على ذلك.

---

1 الكشاف، 267/3

2 ق، 30

3 يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال" اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء و نفس في الصيف ..." انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار و أنها مخلوقة، 89/4

4 الإنتصاف، 267/3

المطلب الثاني: في الاستعارة التصريحية

الآية الاولى:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.[1]

1ـ تحليل الاستعارة:

يقول الزمخشري: « فإن قلت: كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة، قلت: هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه».[2]

وهذه استعارة على رأي الزمخشري حيث شبه الله بالناظر و المخلوق الذي ينظر و نفى عنه هذه الصفة وهو المشبه الذي كان محذوفا، وأثبت صفة من صفات المشبه به وهي صفة النظر، وتندرج هذه الاستعارة ضمن نوع الاستعارة التصريحية، الذي حذف ركن المشبه فيها.

2ـ بيان المسألة الاعتزالية وأثر محذوف ركن الاستعارة :

يقول ابن المنير: « وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على إنكار رؤية العبد لله تعالى، فضم إلى ذلك إنكار رؤية الله، و الجمع بين هذين النزعتين عقيدة طائفة من القدرية، يقولون إن الله لا يرى ولا يُرى– تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا– وتقدم إبطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده[3]، والله الموفق».[4]

وفي هذه الاستعارة أثر كلامي حيث شبه الزمخشري الله تعالى – وهو المشبه – بالمخلوق الناظر ونفى عنه هذه الصفة وهذا ضمن معتقدهم إنكار الصفات وإنكار الرؤية من الله، وكان لهذا التشبيه أثر في معتقد الزمخشري الذي برز لنا جليا في هذه الآية.

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.[5]

1ـ تحليل الاستعارة:

يقول الزمخشري:« بصائِرَ نصب على الحال. والبصيرة: نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي تبصر به، يريد: آتيناه التوراة أنوارا للقلوب، لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل. وإرشادا، لأنهم كانوا يخبطون في ضلال وَرَحْمَةً لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة

---

1 يونس 14

2 الكشاف، 333/2، 334

3 انظر: الانتصاف 152/2 الآية 143: الأعراف

4 الانتصاف، 333/2

5 القصص 43

(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ إرادة أن يتذكروا). شبهت الإرادة بالترجى فاستعير لها، ويجوز أن يراد به ترجي موسى عليه السلام لتذكرهم، كقوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1]».[2]

فأصل الآية : إرادة أن يتذكروا فشبه الله تعالى الإرادة بالترجي، فحذف ركن المشبه، وأبقى على ركن المشبه به المتمثل في كلمة (لعلهم) التي تدل على الترجي، وهذا النوع من الاستعارة هو استعارة تصريحية حذف فيه ركن المشبه.

2 ــ بيان المسألة الاعتزالية وأثر محذوف ركن الاستعارة :

قال ابن المنير: « الوجه الثاني هو الصواب، واحذر الأول فإنه قدري» ففي هذه الآية يدعي الزمخشري تشبيه الإرادة بالترجي الذي هو الركن المحذوف في الاستعارة حيث عبر عنها بلفظ (لعلهم) فكأن الله يرجو ويتمنى أن يتذكروا وهذا لا يجوز في حق الله تعالى، و الإرادة المثبتة في الآية هي الإرادة الدينية الشرعية، وهي في مذهب أهل الحق لا تستلزم حصول مرادها، وليس ذلك شرطا فيها بل هو تعالى يحب الشيء و يأمر به ولا يلزم من ذلك أن يخلقه[3].

1 طه، 44

2 الكشاف، 417،416/3

3 صالح بن غرم الله الغامدي ، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، 778/2

الخاتمة

كان مدار بحثنا هذا على ثلاثة محاور، أولها أن نبرز الجوانب الاعتزالية وانعكاسها على التفسير عند الزمخشري، ثانيا أن ندرس الجاني البياني في كتاب الكشاف ممثلا في الاستعارة وكيف تعامل معها الزمخشري تعريفا وتقسيما وشرحا، لنخلص من ذلك إلى الهدف الثالث الجامع بين سابقيه، وهو اثر الاعتزال على توجيه محذوف الاستعارة في كتاب الكشاف، والذي نعتقد أننا توصلنا لإثباته ومناقشته إلى أن خلصنا في الاخير إلى النتائج التالية:

1- نتيجة اعتناق الزمخشري المذهب الاعتزالي مع تحكمه في علوم اللغة مكناه أن يطوع التفسير لخدمة آرائه الاعتزالية.

2- اعتماد الزمخشري اسلوب الفنقلات في تفسيره وشرحه للاستعارات الواردة في الآيات القرآنية سعيا منه إقناع القارئ، وشدا لانتباهه، ودفعا لما قد يثار من شبهات لرد تفسيره.

3- حسن الاسلوب وجمال النظم في كتاب الكشاف يوحي بالذائقة الأدبية والحس الفني عند الزمخشري، وهو ما يجعل القارئ ينبهر بحسن نظم القرآن وقوة إعجازه البياني.

4- الزمخشري لم يعن بتقرير القواعد البلاغية والتعريف بالمصطلحات البلاغية بقدر عنايته بالتأويل ابراز الجانب البياني، والدفاع عن مذهبه الاعتزالي.

5- الزمخشري لم يبتعد كثيرا عن ما قرره من سبقه من علماء البلاغة وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، في تقسيمهم الاستعارة إلى انواع، وشروط كل نوع منها.

6- عني الزمخشري بالمعنى وجعله مدار الإعراب، لذا لم يلتزم برأي مدرسة نحوية واحدة، وإن غلب عليه الأخذ بآراء المدرسة البصرية في النحو حسب النماذج التي اخترناها.

في الاخير نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، ونسأل الله تعالى العفو عن الخطأ والزلل والمغفرة والرحمة لصاحب تفسير الكشاف، وأن يغفر لنا إن قصرنا في حقه أو أسأنا فهم كلامه فنحن طلاب علم نغترف من بحره، ونقتبس من شعاع معرفته، ونشكر أستاذنا الكريم على تفضله بتأطير هذا البحث المتواضع مع رحابة صدر وعظيم صبر على ما فينا من نقص، وعلى الله قصد السبيل.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

أ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن:

01- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق مشترك بين الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، بدار صادر، بيروت، الطبعة الاولى، سنة 1418هـ . 1998م.

02- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تح صدقي محمد جميل، دط، 1420هـ، دار الفكر، بيروت.

03- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، تح، هشام سمير البخاري، دط، دار عام الكتب، الرياض.

04- أبو بكر الباقلاني القاضي ، إعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر، ط5، سنة1997م دار المعارف، مصر.

05- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، اعجاز القرآن، منشور ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام ط3، 1976م، دار المعارف، القاهرة.

06- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز، تح نصر الله حاجي مفتي أوغلي،ط1، 1424هـ . 2004م، درا صادر، بيروت.

07- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ط3، 1413هـ -1992م، مطبعة المدني القاهرة.

ب ـ كتب التراجم والطبقات:

08- أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق فؤاد سيد، (د ط) 1393هـ/1974م الدار التونسية للنشر، تونس.

09- تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط1، 1383هـ . 1064م، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.

10- جمال الدين الاسنوي، طبقات الشافعية، تح عبد الله الجبوري، ط1401،1هـ . 1981م، دار العلوم، السعودية.

11- جمال الدين أبو الحسن القفطي ، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، 1406هـ/1982م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

12- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بغية الوعاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دط، دت، المكتبة العصري، صيدا، لبنان.
13- شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دط، 1972م، دار صادر، بيروت، لبنان.
14- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعني ، الأنساب، تح عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وآخرون، ط1، 1382هـ/ 1962م، مجلس دائرة المعارف الإسلامية، حيدرآباد.
15- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دط، 1422هـ .2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ج ـ كتب التاريخ والبلدان:

16- ابن العماد شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح محمود الارنؤوط، ط1، 1406هـ . 1986م، دار ابن كثير، دمشق.
17- أبو الفداء اسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دط، 1407هـ/1986م، دار الفكر، لبنان.
18- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام للخطيب البغدادي، تح بشار عواد معروف، ط1،ج 3، سنة2001/1422 دار الغرب الإسلامي.
19- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1407هـ ـ 1987م، دار الكتاب العربي، بيروت.
20- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت.
21- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح احسان عباس، ط1، 1993م، دار الغرب الاسلامي بيروت.

د ـ كتب اللغة والأدب:

22- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دط، 1419هـ، المكتبة العصري، صيدا، لبنان.
23- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، ط3 1407هـ ـ 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت.
24- أبو الفرج الاصفهاني، الاغاني للأصفهاي، تح احسان عباس، ط1429،3هـ ـ 2008م، دار صادر، بيروت.
25- عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان، ط 2، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
26- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ط7، 1418هـ . 1998م، مكتبة المدني، القاهرة.

هـ ـ كتب العقيدة والمذاهب والفرق

27- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،تح، عبد الحليم محمود، ط2، 1985م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

28- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح محمد سيد كيلاني، ط 3 سنة 1993م، دار المعرفة، بيروت.

29- أبو علي الحسن بن اسماعيل الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، 1415هـ ـ 1994م، دار الحكمة، دمشق.

30- عبد الرحمن بن أحمد الايجي، المواقف في علم الكلام، دط، دت، دار الجيل، بيروت.

31- القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تح عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى 1965م مطبعة مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

و ـ دواوين الشعر وشروحها

32- أبو البقاء العكبري، التبيان في شرح الديوان(في شرح ديوان المتنبي)، تحقيق مصطفى السقا – إبراهيم الإبياري – عبد الحفيظ شلبي، دط، دت، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

33- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح راجي الاسمر، دط، 1414هـ/1994م، دار الكتاب العربي، بيروت.

34- ديوان البحتري جمع وتحقيق حسن كمال الصيرفي، مج 2، سلسلة ذخائر العرب، ط 3، دت، دار المعارف.

35- ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق أحمد خيلل الشال،ط1، 1425هـ . 2014م، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بور سعيد، مصر.

36- ديوان الزمخشري، شرح فاطمة يوسف الخيمي، ط1، 1429هـ/2008م، دار صادر بيروت.

ز ـ كتب الفهارس:

37- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، 1941م، مكتبة المثنى، بغداد.

ح ـ كتب عامة:

38- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، 1425هـ ـ 2004م دار يعرب، دمشق.

39- أبو نصر الفرابي، احصاء العلوم، تح، عثمان أمين، ط3، 1986 مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

ثالثا: المراجع

أ الكتب:

01- أحمد مصطفى المراغي،تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها،ط1،سنة 1329هـ/1950م، شركة البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

02- أحمد مطلوب دراسات بلاغية ونقدية،(دت) دار الرشيد للنشر بغداد العراق

03- أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط1، 1426هـ/2006م مكتبة الموسوعات العربية، بيروت، لبنان.

04- رشيد عبد الرحمن العبيدي، الزمخشري وكتابه الفائق، منشورات المجمع العلمي ببغداد سنة 2001م.

05- رشدي راشد، وآخرون، دراسات في تاريخ علم الكلام والفلسفة، ط1، 2014، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

06-زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، ط2، 1994،دار الغرب الإسلامي، بيروت.

07-عبد الكريم عثمان، القاضي عبد الجبار، حياته ومؤلفاته، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ط1 1970م، بيروت، لبنان.

08- علي أبو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط2، 1988، دار الطليعة، بيروت.

09- الغامدي صالح بن غرم الله، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، ط1، 1418هـ/ 1998م، دار الأندلس، حائل، السعودية.

10- فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه،ط 2، (دت) دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

11- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دط، دت، دار الفكر العربي القاهرة.

12- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دط، 2000م، مكتبة وهبة، القاهرة.

13- محمد عبده، رسالة التوحيد، دط، دت، شركة الامل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة.

14-هيثم محمد ابراهيم سرحان، التأويل الدلالي عند المعتزلة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها إشراف نهاد ياسين الموسى، تاريخ المناقشة 2002/08/19م.

15- وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دط 1405هـ/ 1985م، منشورات دار الثقافة الدوحة، قطر.

ب ـ الرسائل الجامعية

1- عبد الجليل مصطفاوي، صور البيان في تفسير الزمخشري، اشراف الزبير دراقي، اطروحة دكتوراه جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية آدابها، سنة التسجيل 1422هـ/2008م.

2- زينب يوسف عبد الله هاشم، الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير في البلاغة العربية، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع البلاغة، 1414هـ/1994م.

3- زاهرة توفيق أبو كش، الاوجه البلاغية والدلالية في تفسير الكشاف، اشراف جهاد النجالي، رسالة ماجستير في اللغة العربية تخصص أدب ونقد، جامعة مؤتة، نوقشت بتاريخ 2003/01/07م.

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ	7	البقرة	55 / 43
فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ	10	البقرة	52
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ	16	البقرة	50
ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ.	27	البقرة	51
وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ.	48	البقرة	44
شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ*إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ.	/18 19	آل عمران	37
وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ.	104	آل عمران	41
وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا	125	آل عمران	48
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا	17	النساء	40

بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا	155	النساء	56
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ* جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا	/168 169	النساء	39
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	90	المائدة	47
وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ	59	الأنعام	56
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ	103	الأنعام	42
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ	158	الأنعام	43
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ	66	الأعراف	49
وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى	143	الأعراف	52
إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ	42	الأنفال	63

ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	14	يونس	59
وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ.	90	يونس	42
كِتَابٌ انْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ	1	ابراهيم	52
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا	29	الكهف	46
تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا	63	مريم	50
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ	44	طه	60
فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ	30	الحج	46
لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ	33	الحج	49
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِير	45	النور	48
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا	12	الفرقان	57
وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا	23	الفرقان	
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ	61	الشعراء	42

إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ	80	النمل	47
فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ	8	القصص	49
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ	43	القصص	59
هل من خالق غير الله	3	فاطر	56
طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ	65	الصافات	48
ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ	62	الزمر	56
أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ الذِّكۡرَ صَفۡحا أَنۡ كُنتُمۡ قَوۡما فَاسِقِين	5	الزخرف	47
يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ	30	ق	58/47
وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ.	9	الحجرات	44
وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ	18	التكوير	53
مِنۡ شَرِّ مَا خَلَقَ	2	الفلق	42

ثانيا: فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
حرف الألف	
أبو حامد الغرالي، محمد بن محمد	15/14
أبو ذؤيب الهذلي، الشاعر	51
أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد بن أبي سعيد	09
ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد	08
ابن العريف، أحمد بن محمد	08
ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب	08
ابن منده، يحي بن عبد الوهاب	08
ابن وهَّاس، علي بن عيسى بن حمزة	10
حرف الباء	
البحتري الشاعر، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي	52
بشر بن المعتمر	27
البغوي الفراء، أحمد بن محمد	08
الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم	20
حرف الحاء	
الحريري، القاسم بن علي	09
الحسن البصري، ابن أبي الحسن بن يسار	39
حرف الجيم	
الجاحظ، عمرو بن بحر	28
حرف الدال	
الدمغاني، أبو عبد الله محمد بن علي	09
حرف الراء	
الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى	32

حرف الزاي

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر 08

حرف السين

السرخسي شمس الأمة، محمد بن أحمد 09

السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على 50

حرف الشين

الشاطبي، القاسم بن فيره 08

الشهرستاني، محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد 40/08

حرف العين

عبد الجبار القاضي الهمذاني، بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن 36

عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد 22

حرف الفاء

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن علي 24

حرف القاف

القاضي الجرجاني أبو الحسن، علي بن عبد العزيز 46

حرف الميم

المرزوقي، محمد عليان 38

حرف النون

النظام، أبو إسحاق إبراهيم بن هانئ البصري 28

حرف الواو

واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة 39

ثالثا: فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري		الصفحة
وقيدت نفسي في هواك محبة	ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا	23
إنَّ التفاسير في الدنيا بلا عدد	وليس فيهما لعمري مثل كشافي	08
فقدته فاضلا فاضت مآثره	العلم والادب المأثور والورع	07
واذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمة لا تنفع	51
صام النهار وقام الليل وهو شج	من خشية الله كابي اللون ممتقع	12
وطفقت سحابة تغشاها	تبكي على عراصها عيناها	32
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى	حكم من النحو نمضي في توخيه	23
لو نقب الأرض باغ غير ذاك له	معنى وصعد يعلو في ترقيه	23
ما عاد إلا بخسر في تَطَلُّبِه	ولا رأى غير غي في تَبَغِّيه	23
يؤدون التحية من بعيد إلى	قمر من الإيوان باد	52

رابعا: فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	1
مدخل تمهيدي: الإطار المعرفي والمفاهيمي	7
أولا: ترجمة الإمام الزمخشري	7
ثانيا: التعريف بتفسير الكشاف	12
ثالثا: تعريف الفرق الكلامية ونشأتها وتطورها	14
الفصل الأول: جهود المتكلمين وأثرها في البحث البياني	19
المبحث الأول: جهود المتكلمين الأشاعرة وأثرها في البحث البياني	20
المطلب الأول: القاضي الباقلاني	20
المطلب الثاني: عبد القاهر الجرجاني	22
المطلب الثالث: فخر الدين الرازي	24
المبحث الثاني: جهود المتكلمين المعتزلة واثرها في البحث البياني	26
المطلب الأول: بشر بن المعتمر	27
المطلب الثاني: النظام	28
المطلب الثالث: الجاحظ	28
المبحث الثالث: الاستعارة عند المتكلمين الاشاعرة والمعتزلة	31
المطلب الأول: الاستعارة عند المتكلمين الأشاعرة	31
المطلب الثاني: الاستعارة عند المتكلمين المعتزلة	32
الفصل الثاني: الجوانب الكلامية والاستعارة في الكشاف (دراسة تطبيقية)	35
المبحث الأول: الجوانب الكلامية في تفسير الكشاف	36
المطلب الأول: أثر الأصول الخمسة عند المعتزلة على تفسير الكشاف	36
المطلب الثاني: المسائل العقدية الفرعية في تفسير الكشاف	42
المبحث الثاني: منزلة الاستعارة بين الصور البيانية في تفسير الكشاف	45

المطلب الأول: تعريف الاستعارة وبيان أركانها والتعبير عنها في الكشاف	45
المطلب الثاني: أركان الكلام التي ترد عليها الاستعارة	48
المطلب الثالث: انواع الاستعارات الواردة في تفسير الكشاف	50
المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الجوانب الكلامية على توجيه محذوف الاستعارة في الكشاف	55
المطلب الأول: في الاستعارة المكنية	55
المطلب الثاني:في الاستعارة التصريحية	59
الخاتمة	61
ثبت المصادر والمراجع	62
الفهارس	
فهرس الآيات	67
فهرس الأعلام	71
فهرس الشواهد والأبيات الشعرية	73
فهرس المحتويات	74